فرج خطاب
قصص قصيرة
ويجا

ويجا

مجموعة قصص قصيرة

للكاتب

فرج خطاب

المحتويات

المقدمة 3

الإهداء 4

نور..... 5

ويجا..... 21

رسالة من شهيد..... 32

صندوق القبلات..... 61

المحتال 69

الكاتب يرحب بالتواصل معه على الإميل ..

faragkhatab@yahoo.com

الإهداء

إلى زوجتي الحبيبة ..

إلى إبني الحبيب ..

إلى إبنتي الحبيبة ..

فرج خطاب

1

نور

كانت الستارة القابعة على النافذة .. في لون النحاس .. فبدت أشعة شمس الأصيل التي إنعكست عليها .. ذهبية اللون .. رائعة ..

وكان الهواء في ذلك اليوم من أيام الربيع .. ينساب من النافذة إلى جوانب الغرفة رقيقاً ناعماً .. منعشاً .. يثير في النفس الشعور بالحياة .. والبشر .. والجمال ..

أمسكت " نور " الستارة برفق .. وبأطراف أصابعها الرقيقة .. أزاحتها .. لكي تتدفق آخر أشعة الشمس الذهبية .. والمتزينة بحمرة الشفق .. إلى الغرفة .. فتملأ فضاءها بهجة .. قبل الرحيل ..

أخذت نور مكانها أمام النافذة .. وفي يدها فنجان القهوة الذي إعتادت تناوله كل مساء .. مع " شريف " .. زوجها .. وحبيبها ..

وراحت ترسل عينيها بعيداً .. هناك .. في السماء .. للإستمتاع بمشاهدة مشهد الغروب الذي طالما أثار إعجابها .. ورومانسيتها .. منذ أن جاءت إلى هذه الشقة مع شريف .. بعد الزواج .. في مثل هذا اليوم .. من سنوات خلت ..

نعم .. فهو يوم لا يمكن أن تنساه .. نور ..

وأخذت رشفة من الفنجان .. مع إبتسامة رقيقة .. فقد تذكرت يوم أن

سألها شريف عن تاريخ ميلادها .. وكانت سعادته غامرة عندما علم أن تاريخ ميلادها يصادف تاريخ ميلاده .. ولكنها تصغره بثلاثة أعوام وهو ما جعله يتفق معها على أن يجعلا تاريخ زواجهما يطابق نفس اليوم ..

فهو شيء جميل أن يولدا ويتزوجا .. في نفس اليوم ..

كانت نور جميلة .. كالوردة المتفتحة .. تتمتع بقامة طويلة .. ونحيلة الخصر .. ذات وجه لامع .. مشرق ..

وعينان جميلتان زرقاوان .. يشع منهما بريق .. وذكاء .. وتنبض بالحيوية والشباب والنضارة .. والأمل في الغد ..

وقد أتمت اليوم عامها السادس والعشرين ..

وأحبت شريف بكل ذرة من كيانها .. حتى وجدت نفسها تعيش فيه .. وبه .. ومن أجله ..

فما أخلق كل منهما بالآخر .. إنهما يحبان نفس الأشياء .. ولهما نفس الآراء .. ويتكلمان بنفس الأسلوب ..

ولكن الحياة ليست دائماً ما تهادن .. أو تدع الإنسان يهيء أموره .. وفق مشيئته ..

وبالطريقة التي يراها ..

فهناك مشيئة الله ..

وكانت مشيئة الله أن تتأخر نور في الإنجاب ..

وقضى الزوجان السنوات الطوال في طرق كل أبواب الأمل .. لإنجاب طفل يملأ حياتيهما بالبهجة .. ويملأ بيتهما بالنور .. ويملأ قلبهما بالسعادة ..

وبدأ ضوء القمر الساطع يضيء وجهها .. ويبرز جمال تقاطيعه .. ورقة ملامحه ..

ولا شعورياً .. امتدت يداها لتحتضنا بطنها في حب .. ورقة ..

وكأنهما تحتضنا الطفل الذي أخبرها بوجوده الطبيب اليوم ! ..

إنتِ حامل ..

جملة اشتاقت إلى سماعها .. سنوات وسنوات ..

قفز قلبها طرباً ..

طار بها الخبر .. إلى عنان السماء ..

كل سعادة الدنيا .. غمرتها .. في لحظة ..

الله .. الله .. الله ..

كم أنا سعيدة ..

أحمدك يا رب ..

وتحسست بطنها .. في محاولة أمومية .. لا إرادية .. لاحتواء أحشاءها .. بكامل راحتيها .. وقد إغرورقت عيناها بالدموع .. دموع الفرح .. وعلت وجهها ابتسامة تشي بسعادة لا تقدر ..

سعادة غابت عنها سنوات طوال .. قضتها في صراع نفسي .. بين عدم

الإنجاب .. وبين حبها لزوجها .. الذي يقتلها خوفها من يأسه من الإنجاب ..

بين عشقها الطبيعي للأمومة .. وبين عشقها لزوجها ..

وخوفها من فقده .. في رحلة بحث بائسة عن الإنجاب ..

سنوات طوال .. قضتها بين طرق أبواب عيادات أكبر الأطباء .. داخل وخارج البلاد ..

استسلما للوصفات الغريبة للعطارين ..

دون جدوى ..

لم يكن لها إلا الدعاء إلى الله ..

لم يكن لها إلا الأمل ..

لم يكن هناك باباً .. لم تطرقه .. حتى الإعلانات الإبتزازية .. العقيمة .. في التلفزيون .. جربتها .. في حماقة ..

إنتِ حامل ..

سمعتها اليوم .. بعد كل عذابات السنين ..

سمعتها اليوم .. وشعرت معها بسعادة الدنيا .. تتدفق إلى قلبها .. وتملأ كيانها ..

بعد انتظار .. طال .. لسنوات .. وسنوات ..

حاولت أن تتصل بشريف .. لكي تزف إليه الخبر السعيد .. لكي تكتمل سعادتها بسعادته ..

جاءها الرد :

الرقم الذي تريد الإتصال به .. مغلق .. أو خارج نطاق الخدمة ..

قالت في نفسها :

مش مشكلة .. خليها مفاجأة .. لما نتقابل في البيت ..

لا زالت النشوى تغمرها ..

طافت بمحلات بيع مستلزمات الأطفال ..

بسعادة لم تغمرها من قبل .. مرت تسأل في محلات ملابس الأطفال

.. والأحذية ..

واللعب .. والسرائر الهزازة ..

كل مستلزمات الأطفال ..

ولد .. أو بنت ..

لا يهم ..

يا لروعة هذا اليوم ..

هل هذا معقول ؟! ..

اليوم هو عيد ميلادي .. عيد ميلاد شريف .. عيد زواجنا ..

اليوم علمتُ أنني حامل ! ..

لن أتصل بأحد لكي أخبره بهذا الخبر .. قبل أن أخبر شريف ..

وفي خطوات رشيقة .. تراقصت أقدامها .. متجهة إلى أكبر محل

لتنسيق وبيع الزهور .. وطلبت أروع الباقات .. من أجمل الزهور ..

ثم عرجت على محلات بيع الحلوى والجاتوهات .. لشراء تورتة عيد الميلاد ..

وعيد الزواج ..

ولم تنس شراء الشموع .. والبالونات .. الحمراء والخضراء وكل الألوان ..

كما إبتاعت الساعة القيمة التي كان شريف يرغب فيها ..

فاليوم .. هو أجمل الأيام .. وأكثرها مناسبة .. لعمل الإحتفالات .. وتقديم الهدايا .. لشريف ..

لا زال تليفون شريف .. خارج التغطية ..

بينما كانت تعد العشاء .. كانت تدندن .. كل أغنيات عيد الميلاد .. سنة حلوة يا جميل ..

يللا .. حالاً بالاً .. بالاً .. حيوا أبو الفصاد ..

ح يكون عيد ميلاده الليلة .. أجمل الأعياد ..

فليحي أبو الفصاد ..

كان العشاء فاخراً ..

وامتلأت كل الأركان بالزهور .. والورود ..

وزينت أجمل تورتة .. طاولة صغيرة .. إفترشت بأحلى مفرش ..

وتجمعت كؤوس العصائر .. في دائرة .. حول التورتة ..

أطفأت الأنوار الكهربية ..

أضيأت الشموع ..

علقت البالونات .. بأزهى الألوان ..

وتزينت ..

وإرتدت أجمل ما لديها من فساتين ..

كان جمالها يتألق في ضوء الشموع التي تنير غرفة الطعام ..

وتعطرت .. بالعطر المفضل لديه ..

ولا زال تليفونه .. خارج التغطية ..

بدأت تنتظر في لهفة .. لحظة أن يصل ..

إشتاقت لرؤية السعادة في عينيه .. لحظة أن تخبره .. بالخبر .. السعيد

بدأ الوقت يمر بطيئاً ..

بدأت الدقائق تمر ثقيلة ..

بدأت دقات القلب تعلو .. وتعلو .. حتى تحولت إلى طبول .. تنذر

بالخوف ..

الخوف من مجهول .. قادم ..

داهمها إحساس غامض .. كاد يعتصرها ..

كما غمرتها موجة من الحزن والتشاؤم ..

وأحست أن في الأمر شيئاً خطيراً ..

وقبل أن تجمع شتات أفكارها .. وتلملم شتات نفسها ..

تجمدت الكلمات على شفتيها .. وبدا على وجهها آية من آيات الهلع ..

لم ير أحد مثلها على وجه إنسان .. كما جمدت عيناها من محجريهما من فرط الفزع ..

وقد غرقت في دوامة من الذهول .. وشحب وجهها ..

وفي سكون الخوف ..

قفزت مرعوبة .. بقلب منقبض .. يغوص في أعماقها ..

لرنين الباب ..

من بالباب ؟! ..

سألت في صوت مرتجف .. بكلمات مرتعشة .. في ضعف .. لا يجعلها تصل إلى بضع خطوات .. ولا تكاد تصل إلى مسامع من بالباب ..

ولذلك جاء الرنين .. مرة أخرى ..

من بالباب ؟!

إنه ليس شريف .. فلماذا يرن شريف جرس الباب .. فليس من المعقول أن يكون قد فقد المفتاح ..

أنا أختك " ساره " .. إفتحي يا نور ..

تشجعت .. فقد وجدت في أختها من يؤنس وحدتها .. ويزيل عنها أسباب الخوف ..

وجرت نحو الباب ..

فتحته بلهفة ..

وإحتضنت أختها ساره ..

- ماذا بك يا نور ؟

- بل ماذا بك أنتِ يا ساره ؟! ..هل تبكين ؟ .. يا إلهي ! ..

- دعينا نجلس أولاً يا نور ..

وكانت المسكينة تبدو في غاية البؤس والشقاء والتعاسة

وإندفعت حزينة إلى غرفة الجلوس .. وغاصت في أحد المقاعد وهي تقول ..

- ليس هناك أسرع من انتشار أخبار الفواجع .. والشائعات الموجعة ..

- أية أخبار ؟ .. وأية شائعات ؟! .. لقد أرعبتني يا ساره ..

وساد الجميع جو من الترقب ..

وخيم الصمت الرهيب لحظات على المكان ..

- تعرفين إلهام يا نور ..

- بلى .. إلهام كمال ..

- نعم .. لقد أخبرتني من قبل .. منذ عدة أيام .. أنها تعلم علم اليقين .. أن شريف .. زوجك .. قد إتفق مع سهير سليم على الزواج !!

وكأنما قد لدغتها حية .. انتفضت نور من مكانها .. ودفعت مقعدها إلى الوراء .. بعنف .. وعصبية .. وانبعثت واقفة .. وقد فُتِح فاها .. وحملقت عيناها .. وهتفت بصوت مرتجف :

- من ؟! .. شريف .. يتزوج من سهير سليم ؟! .. ومن أخبر إلهام ؟!

.. وكيف علمت إلهام أنها ليست مجرد إشاعة كاذبة ؟! ..

قال ساره .. باكية .. بكلمات بللتها الدموع ..:

- هذا هو السؤال الذي وجهته لها .. يوم أن أخبرتني بهذا الخبر المشئوم .. إلا أنها إتصلت بي اليوم .. وطلبت مني أن أذهب بنفسي لكي أراهما معاً .. في النادي الذي يلتقيان فيه ..

وتحطمت نور من الداخل .. كما لو كانت كلمات سارة مطرقة هوت بلا رحمة على قطعة من الزجاج .. فهشمتها .. بل طحنتها طحناً .. قالت .. وهي تحاول ألا تسقط أرضاً ..

- أية نادي .. وهل فعلاً ذهبتي إلى هناك ؟! .. وهل كانا هناك فعلاً .. أخبريني يا ساره .. أخبريني بالحقيقة .. ماذا رأيتِ ؟! ..

- لقد تلقيت الصدمة القاسية .. فقد كانا معاً حقاً .. كانا يقفان معاً .. متشابكي الأيدي ..

- يا ويلي ..

هكذا هتفت نور بذلك في صوت مرتجف .. ثم دارت نصف دورة حول نفسها .. وبينما كانت الدموع تمطر من عينيها .. إنهارت .. وسقطت أرضاً .. كتلة واحدة .. مغشياً عليها ..

ونهضت ساره بسرعة .. وألقت بنفسها منحنية على نور في محاولة مستميتة لإفاقتها .. ورشها بالعطور ..

ومع المحاولات .. أفاقت نور .. غارقة في أحزانها .. تعتصر ألماً ..

وقد تحشرجت الصرخات في جوفها .. ولا زالت تبكي وتنتحب بصوت مسموع .. حزناً وأسفاً .. على هذا الخبر الدامي ..

كما لم تكن ساره أقل منها حزناً .. وألماً ..

قالت نور .. وهي شريدة .. بائسة :

- لماذا ؟! .. لماذا اليوم يا شريف ..؟! .. لماذا تعجلت الأمور ؟! .. أبعد أن أصبحت أباً ..؟! .. ولماذا سهير سليم بالذات ؟! .. صديقتي المقربة .. هل قُدِّرْ لي أن أفقد زوجي .. وصديقتي الوحيدة .. في يوم واحد ؟! .. في اليوم الذي إعتقدتُ أنه أسعد أيامي ؟! ..

اليوم يا ساره .. هل تعلمي أنني علمتُ اليوم أنني حامل ؟! .. ما هذا العبث ؟! .. أي الأخبار أصدق ؟! .. وأيها أرفض ؟! ..

هل هذه الأخبار تناسب يوم عيد ميلادي ؟! .. ويوم عيد ميلاد شريف ! .. ويوم عيد وزواجنا ! .. هل يكون هذا هو يوم الوداع ؟! .. يوم الفراق ؟! ..

هل تعلمي يا ساره .. أنني لا أصدق ما تقولين ؟! ..

مرة أخرى تشعر نور بالدوار ..

تشعر بالألم يعتصر قلبها ..

تشعر أن العالم خلا من أي شيء .. إلا من سكين حادة .. وقد غرسها أحدهم في أعمق أعماق قلبها ..

وتركها تنزف .. وتنزف ..

يا لمرارة الواقع ..

يا لمرارة الماضي الذي جعل شريف زوجي يخون حبي .. ويا لمرارة الحاضر .. الذي يواجهني بخيانة صديقتي الوحيدة ..

ويا لمرارة المستقبل .. الذي أتوقعه لإبن .. عليه أن يكبر ويترعرع .. في ظلال خيانة الأب .. وهجره ..

تبكي ..

تخنقها دموعها ..

هل أحطم الطاولة ؟ .. هل أطفيء الشموع ؟! .. ماذا أفعل بالتورتة .. والزهور ؟! ..

هل أبدأ الإحتفال .. أم أنهيه ؟! ..

وتراكم الظلام في أركان السماء .. وانقلب النهار ليلاً .. ونظرت نور عبر النافذة .. فرأت الليل جاثماً .. في الفضاء .. وجاءتها الرياح من خلال الستائر .. رطبة .. عاصفة .. مزمجرة .. والتف الشارع في غلالة سوداء .. وغرق في الصمت ..

وجاء رنين جرس الباب .. يكسر الصمت ..

وتعلقت الأنظار بالباب ..

وجمدت الكلمات .. بالحناجر ..

ثم ها هو صوت المفتاح .. يدور في قفل الباب ..

إنه شريف !! ..

فلا أحد غير شريف .. لديه مفتاح الباب ..

نعم إنه شريف .. لقد فتح الباب .. وها هو يدخل ..

ولكن هناك أحد مع شريف .. إنها سهير .. لقد دلفا .. في صمت ..

وأغلق شريف الباب ..

ولا زال الصمت يخيم على المكان ..

والدهشة هي سيدة الموقف ..

وإتجه الإثنان إلى غرفة الصالون .. حيث تجلس ساره .. ونور ..

الصمت يغلف الجميع .. والسكون يعبر عن دهشتهم ..

يستجمع شريف أفكاره .. ويلملم شجاعته .. ولكن .. وقبل أن يقول شيئاً .. تبادره ساره ..

- لقد عرفت نور كل شيء يا شريف .. لماذا فعلتما بها ذلك ؟! ..

وأجهشت نور بالبكاء .. بكاء مريراً .. كاد يمزق كبدها ..

قام شريف نادماً يحاول إحتضانها برفق .. واحتواءها بين ذراعيه .. إلا أنها تدفعه بقوة .. مزمجرة :

- إبتعد عني .. دعني وشأني .. لن أدعك تلمسني بعد اليوم ..

ثم صاحت فيهما :

- لماذا جئتما ؟! .. لا مكان للخونة في بيتي .. أخرجا من بيتي .. لا أريد أن أرى وجه أي منكما ..

وتوجهت ساره لشريف بالحديث :

- لقد أحزنتها يا شريف في أسعد يوم تنتظره .. منذ سنوات وسنوات .. كلاكما تنتظرانه .. بفارغ الصبر ..

واتفت إليها شريف مندهشاً .. فهو لا يعرف إلى ماذا تشير .. ولا عن أي شيء تتحدث ..

وعلمت سر دهشته .. فأردفت :

- نعم يا شريف .. لقد علمت نور اليوم فقط .. أنها حامل !! ..

وإنتفض شريف من مكانه .. وتبدلت ملامحه من الألم .. إلى الفرحة المباغتة .. والسعادة الطاغية ..

وهجم بقوة على نور .. إحتضنها بقوة .. حاولت أن تقصيه عنها ..كانت ذراعاه أقوى منها .. ضمها إليه أكثر .. حاولت أن تنسل من بين ذراعيه .. لكنه أصر على الإحتفاظ بها بين أحضانه .. وقال بصوت متهدج .. يشي بالندم ..:

- والله ما علمت بهذا الخبر قبل الآن .. ولم يكن هذا هو سبب عودتي .. أرجوك صدقيني ..

قالت نور بحدة .. ولا زالت بين يديه ..

- أخرج من بيتي .. أخرجا كلاكما .. فلا يهمني لماذا عدتما ..

كانت يده اليمنى تحيط بخصرها .. فتضمها إلى صدره .. بينما أخذت أطراف أصابع يده اليسرى تداعب شعرها .. وتلملم خصلاته التي غطت خدها وجانب من وجهها .. ودون أن تدري نور .. وبسرعة .. كان قد طبع قبلة حانية على جبهتها .. قائلاً .. في ندم :

- لن نلومك .. حتى ولو فعلتي معنا ما هو أكثر من ذلك ..

لا زال يحتفظ بها بين ذراعيه .. وضعفت مقاومتها .. ورقت حدة صوتها ..

- إذهبا إلى حيث كنتما ..
- بل عليك أن تسمعينا أولاً .. فلدينا ما نود أن نقوله لك ..
- لن تدافع عن خيانتكم لي جميع الكلمات ..
- قبل كل شيء .. الحمد لله يا حبيبتي .. أن وهبنا الإبن الذي طال إنتظاره ..
- بل هي بنت .. ولن تراها .. فلن يرضيها أن يكون أباها خائناً ..
- فلتكن بنت .. ولو كنت خائناً حقاً .. لما كنت هنا الآن .. أحتضنك هكذا .. بنفس الحب .. والمودة ..

ووجدت سهير أنه دورها في تقديم الإعتذار لصديقتها الوحيدة .. فقالت في كلمات تشي بالندم :

- والله يا نور .. ما جاء بنا إليكِ إلا حبنا لكِ .. وندمنا على ما فعلنا .. ولقد كان درساً قاسياً لنا .. علمت منه كم يحبك شريف .. وأنه لا يستطيع أن يحب أحداً سواكِ .. بل لا يستطيع أن يعيش بدونكِ .. وهو ليس ملاك .. وله أخطاؤه .. ولا أعتقده بقادر على تكرارها .. وأرجوكِ .. إغفري له هذه الزلة ..

قال شريف .. ولا زال يحتفظ بنور بين ذراعيه .. ولو أنه لم يعد

يحتاج إلى القوة لكي يبقيها في حضنه .. !!

- لقد ندمنا يا حبيبتي .. وأنت تعلمين أن سهير ليست هي المرأة التي تغوي رجلاً متزوجاً .. لكي تخطفه من زوجته .. بل إنكِ تعرفينها أكثر مني .. ولقد إتفقنا على أننا قد أخطأنا في حقك خطأً كبيراً .. فجئنا نعترف لك بذنبنا .. ونطلب غفرانك .. ومسامحتك لنا ..

ونهضت سهير .. وانتزعتها من حضن شريف .. وأحاطتها في حب بكلا ذراعيها .. في حب .. وبكاء .. وإعتذار .. وأسف ..

وبسعادة غامرة .. نهضت سارة .. قائلة :

- هيا إذن .. فالعشاء جاهز .. والتورتة موجودة وأيضاً الشموع.. لنحتفل بأعياد الملاد .. وعيد الزواج .. وأيضاً نحتفل بالحمل الجديد .. ونصلي ركعتين .. شكراً لله .

2

ويجا

بعد انتهاء حصة الدرس الخصوصي في اللغة الإنجليزية .. اتجهت أسماء إلى البيت .. بمفردها .. بعد أن اعتذرت صديقتها أمال التي كانت تذهب معها إلى الدرس كل يوم ..

كانت في الخامسة عشرة من عمرها .. فتاة رقيقة .. مقبلة على الحياة .. بقلب مفعم بالحب .. للجميع .. ولكل الأشياء ..

أحبت ممارسة الكثير من الهوايات .. القراءة .. والسباحة .. والإنضمام إلى فريق التمثيل .. في المدرسة ..

وكان الأستاذ وائل .. المخرج السنيمائي الذي يشرف على فريق التمثيل بالمدرسة قد أعجب بها .. وأسند إليها بعض الأدوار التي تناسب سنها في بعض الأعمال الفنية بالمدرسة ..

وكانت أسماء تقرأ الكثير من الكتب .. خاصة القصص والروايات .. إلا قصص العفاريت .. وروايات الأشباح .. فقد كانت على عكس أختها الصغرى علياء .. التي كانت تهوى مشاهدة أفلام الرعب .. وتحب قراءة قصص الأشباح .. على الرغم أن علياء كانت تصغرها بعامين ..

سارت أسماء في بطء أحياناً .. وأحياناً تقفز في خطوات رشيقة ..

تتناسب مع اللحن الذي راحت ترددده لبعض الأغاني المفضلة لديها .. لكي تتسلى وتروح عن نفسها .. خاصة إذا كان الطريق خالياً .. في مثل هذا الوقت ..

عبرت الطريق الرئيسي .. ومالت يساراً مع الشارع الجانبي .. نحو البيت ..

كانت الأشجار الضخمة بفروعها المتشابكة .. وأوراقها العريضة المتعانقة في كتل كثيفة تحجب ضوء الشمس .. فكان الجو بارداً تحت ظلالها ..

إلا أن أشعة الشمس في بعض الأماكن .. كانت تتسلل من خلال أوراق الشجر .. فترسم على الأرض دوائر صغيرة .. متشابكة متقاطعة .. سارت على رصيف الشارع .. وقد تناثرت عليه أوراق الشجر الجافة التي ألقت بها الرياح في أحضان الطريق .. وقد اختلطت مع نثار الحشائش المقطوعة من الحدائق ..

وكانت الرياح تهز أفرع الأشجار .. فتتمايل أغصانها وأوراقها .. وتصدر حفيفاً خافتاً .. فيصل إلى أذنيها فحيح الرياح الذي يشبه فحيح الأفاعي !.. بينما تتماوج خيالات الأغصان والأوراق .. وكأنها الأشباح فوق الأشجار .. تتراقص مع هبوب الرياح ! ..

وفجأة .. تسلل خيال من وراء شجرة ضخمة .. اقتحم الخوف قلبها .. وارتعدت فرائصها .. وانتفض كل جسدها !

تساءلت في رعب .. تحدث نفسها ..

" يا إلهي .. من هناك ؟ .. هل هو شبح هذا الذي رأيته ؟ .. أم أنني أهذي ؟ .. هل يخيل إليّ أنني رأيت خيال رجل يتحرك هناك خلف الشجرة ؟ .. أم أنه مجرد جذع شجرة ؟ .. "

كانت هناك رعدة تجتاح جسمها الصغير .. المرتعش !.. وكاد قلبها يقفز من صدرها ..

كان قلبها يدق بشدة .. وجسدها كله يرتعد .. أخذت تحملق بنظراتها على الأرض .. وفي الفراغ من حولها .. تدير عينيها في دوائر الظل التي صنعتها الأشجار الضخمة على طول الطريق .. لكنها لم تجد شيئاً .. كما لم تجد أحداً ..

وبدأت تجري .. وأطلقت العنان لساقيها .. تسابق الريح .. لكن ساقيها الضعيفتين كادتا تتوقفان عن الحركة .. فاستنفرت طاقتها التي بعثها الخوف في جسدها كله .. وأرغمت نفسها على الجري .. بكل سرعة .. يحيط بها الكثير من ظلال الأشجار .. وكأنها طوق يكاد يطبق عليها .. حتى يخنقها !

واصلت الجري .. وهي تخشى النظر إلى خلفها .. حتى لا تراه يتعقبها ! .. أو يتبعها ..

كانت تلهث .. ويكاد نبض قلبها يسمعه كل من في البيوت ! ..

إنها لا تدري كيف وصلت إلى البيت .. وقد تقطعت أنفاسها ..

ورغم ذلك .. كانت لا تصدق الخاطر الذي يغلف خيالها .. من أن كل هذا الخوف .. لم يكن إلا بسبب خداع بصري !..

وفكرت ..

وقد ساورتها الشكوك ..

كلا .. لا شيء هناك .. واستعادت هدوءها .. وانتظمت أنفاسها ..

إنني أخترع الكثير من قصص الأشباح .. حتى أصبحت أخيف نفسي !

.. يا لي من حمقاء خرقاء ! ..

وقررت ألا تحكي ما حدث لأختها الصغرى .. حتى لا تسخر منها !

وما أن دلفت إلى غرفتها .. حتى ألقت بكتبها فوق المكتب .. كما ألقت بجسدها .. فوق السرير .. وراحت تنظر إلى سقف الغرفة .. لا تلوي إلى شيء ! ..

أما قطتها السيامي الصغيرة " بوسي " .. فقد دلفت إلى الغرفة ومن ثم قفزت فوق السرير .. وراحت تتمسح في جسد أسماء .. ثم تمددت إلى جوارها ..

كانت أسماء قد زينت غرفتها بورق حائط جميل .. به الكثير من الألوان الزاهية ..

وفي مواجهة السرير .. كانت النافذة قابعة خلف ستائر مخملية جميلة .. وعلى الأرض بجوار السرير .. كانت هناك زهرية جميلة وضعتها أسماء فوق طاولة صغيرة .. بعد أن وضعت فيها الزهور التي تحبها ..

وفوق المكتب كان هناك مسجل صغير .. تديره أسماء لسماع الموسيقى الهادئة أثناء المذاكرة .. وأحياناً قبل النوم ..

وإلى الجوار منه كان الهاتف الأرضي .. الذي لم يعد يرن كثيراً .. بعد أن حل محله الهاتف الخلوي ..

أما دولاب ملابسها فكان يلاصق الحائط بجوار النافذة ..

وتنامى صوت علياء إلى مسامع أسماء بينما كانت تنادي وكأنها على عجلة من أمرها .. وكان صوتها قادماً من غرفة المعيشة :

- يا أسماء ..

فأقبلت عليها .. ومن خلفها القطة بوسي تهرول للحاق بها .. بينما كانت علياء تشاهد التلفاز ..

- لماذا تنادي ؟

- اجلسي معي لمشاهدة هذا الفيلم .. سوف يبدأ الآن .. لقد شاهدته من قبل .. وهو رائع جداً ..

- أي فيلم ؟

- إنه فيلم " ويجا إذ ذا سورث أوف أول ذا إيفل " ..

فأخذت أسماء مكانها إلى جوار أختها الصغرى .. وهي تعلق :

- ولكن يبدو من إسمه أنه فيلم رعب ! .. أليس كذلك ؟

فضحكت علياء .. وقالت في استخفاف :

- نعم .. إنه كذلك .. ولكن ماذا في ذلك ؟! ..

- أنت تعلمين أنني أخاف من أفلام الرعب والأشباح ..

- ألا تخجلين من الخوف من أفلام الأشباح .. التي تشاهدها أختك الصغرى ؟

- أيتها الخبيثة .. سوف أشاهده .. ولو أنني أموت رعباً .. من مشاهدة أفلام الأشباح !

وكانت أسماء قد امتلأت رعباً وخوفاً من مشاهدة الفيلم .. فاحتضنت قطتها .. ودفعت نفسها إلى غرفتها .. وهرولت إلى السرير .. وألقت عليه بجسدها المرتعد .. وزحفت مباشرة تحت الغطاء .. حتى غطى الفراش وجهها .. إلا أن أوصالها لا زالت ترتعد ..

وجاءها صوت علياء ضاحكاً :

- أيتها الخائفة .. لا تنسي إغلاق النافذة جيداً .. فالرياح اليوم شديدة .. والرعد يزمجر في السماء ..

يقولون أن الخائف لا ينام ..

ولكنها غفت .. مع انبلاج أشعة الفجر الأولى ..

ثم راحت أنفاسها المسموعة .. تملأ فضاء الغرفة .. مع بعض الكلمات المكتومة .. غير المفهومة ..

واستيقظت أسماء على وقع خطوات .. كان الباب يُفتح ويُغلق بقوة طوال الوقت ..

كانت الرياح تندفع عبر النافذة إلى فضاء الغرفة المظلمة .. وفجأة يرن

جرس التليفون .. وقبل أن تفيق أسماء من الرعب الذي يتملكها ..

يتوقف رنين التليفون .. وإذا بالموسيقى تنطلق من المسجل القابع على المكتب .. دون أن تلمسه بيدها .. فمن فعل ذلك .. الصوت صاخب جداً .. ولكن سرعان ما توقف ..

صوت الرعد قادماً من السماء ..

تنكمش أسماء على نفسها .. تجلس القرفصاء على سريرها .. وتدس جسدها المرتعش تحت الفراش .. وتصرخ باكية :

- يا ماما .. يا بابا .. يا علياء .. أين أنتم ؟ .. لينقذني أحدكم .. يا إلهي .. الأشباح تطاردني ..

ولا أحد يجيب ..

تبكي رعباً ..

ما هذا الدخان .. إنني أشتم رائحة الدخان تملأ الغرفة ..

وفجأة تشتعل النيران في كل مكان بالغرفة .. وتخرج ألسنة اللهب من الدولاب .. وتشتعل الستائر ..

إن الشرر يتطاير وينعكس على الحوائط ..

إنني أسمع صوت طقطقة الشرر .. وتندفع موجات الدخان إلى النافذة .. من خلف ألسنة النيران الصفراء والبرتقالية ..

وتقتلع الصيحات العالية أسماء من مكانها .. بل تقتلع قلبها من مكانه فزعاً ورعباً .. فيخفق عالياً .. وكأنها ترسل ضربات قلبها لكل من..

بالكون .. استغاثة .. ومناجاة ..

وتوقفت النيران عن الإشتعال ..

وتوقف الدخان واختفى من المكان .. برائحة النيران ..

الظلام دامس .. عادت العتمة تخيم على الغرفة بسوادها المخيف ..

تحاول أن تتحرك .. تجر نفسها جرّاً .. لكي تغادر السرير .. تحاول أن تضيء المصباح الكهربائي .. تجرّ قدميها على

الأرض ببطء .. وتتحسس أماكن خطواتها .. تصل إلى الحائط ..

تتحسس مكان قابس النور .. تضغط زر إشعال المصباح .. إنه لا يعمل .. الكهرباء لا تضيء ..

تزداد أوصالها ارتعاداً ..

تزداد خوفاً وبكاء ..

تفكر في رعب ..

- المصباح لا يستجيب .. إنه معطل ..

إنها تحاول التحرك لكي تفتح الباب .. وتهرب من هذا الجحيم ..

والظلام المخيف ..

إلا أنها لا تعرف إلى أي إتجاه تتحرك ..

وقفت جامدة .. مثل شخص يواجه أفعى سامة .. يخشى أن يتحرك أمامها فتلدغه .. فتوقفت عن الحركة .. لا تقوى أن تحرك قدميها ..ولا حتى أن تتنفس ..

وانطلقت الموسيقى الصاخبة من المسجل فجأة .. فارتعد جسدها كله .. في صرخة مدوية ..

" يا ماما .. يا بابا " ..

حاولت السيطرة على قدميها .. حاولت أن تخطو في أي اتجاه .. إلتوى كاحلها تحتها .. وتعثرت .. وصرخت ألماً ..

الصمت يعود إلى الغرفة .. بعد توقف صوت الموسيقى .. إلا من صوت بكاءها .. وصراخها ..

كانت العتمة مخيفة .. عادت تجر قدميها .. ويداها ممدودتان أمامها .. تتحسس الأشياء التي ربما تصادفها في طريقها ..

كانت أقدامها ثقيلة .. تجر نفسها جرّاً في الظلام .. صوت شيء يرتطم بقدميها .. فيبدد السكون .. ويضاعف من مشاعر الخوف ..

إنها الطاولة ..

لقد اصطدمت قدماها بالطاولة .. فسقطت المزهرية من فوقها وارتطمت بالأرض .. فانكسرت .. وتطايرت أشلاؤها .. وأصابت قدميها .. فارتفع صراخها من جديد .. وتألمت بسبب الجراح التي أحدثتها أشلاء المزهرية عند ارتطامها بها ..

تابعت السير ببطء .. بخطوات صغيرة عرجاء .. وبقلب يخفق بشدة .. وجسد يرتعد خوفاً وهلعاً ..

وأخيراً .. لامست أصابعها المرتعشة باب الغرفة .. فأخذت تتحسسه ..

حتى لامست أصابعها المقبض .. أدارته .. سحبت الباب .. ظهر الضوء يبدد الظلام ..

اندفعت بعيداً عن الغرفة ..

وصلت إلى الدرابزين .. والدرجات التي تؤدي إلى الطابق الأرضي ..

كانت القطة بوسي تقف أسفل الدرجات ..

حاولت أسماء أن تستدعي قطتها ..

أخذت تناديها ..

القطة لا تحرك ساكناً ..

ولدهشتها .. لم تستطع أسماء أن تفسر عدم اندفاع القطة إليها .. إنها تندفع إليها فور رؤيتها ..

يا إلهي ..

القطة لم تعد تجرؤ على الصعود إلى الطابق العلوي ! ..

هل هناك أشياء تراها القطة ولا أراها ؟! ..

لقد بدأت القطة تموء .. وقد ارتفع ذيلها في الهواء .. بينما تقوس ظهرها .. وكأنما أخذت موقف الهجوم على شيء ما .. هي فقط التي تراه .. وبدأت تتحرك ببطء شديد .. متسلقة الدرجات .. وهي تصعد لأعلى متحفزة .. في حذر شديد .. حتى وصلت إلى باب الغرفة ..

وأخذت تحدق إلى اتجاه الغرفة في تحفز وخوف ..

إنها لا تتمسح كعادتها بأسماء ..

إنها تمر بجوارها وكأنها لم ترها ! ..

واشتد الخوف بأسماء ..

أخذت تنادي :

- يا بابا .. يا ماما ..

وأطلقت لساقيها العنان للهرب .. وهي تطوي الدرجات كل درجتين في خطوة واحدة .. حتى انزلقت قدميها .. وتعثرت .. فسقطت من أعلى الدرجات .. وهوت إلى أسفل .. فاصطدمت رأسها في الأرض ..

واستيقظت من نومها .!

وسحبت نفسها من تحت الفراش .. وهي تتحسس جسدها لكي تتأكد أنها لا زالت حية .. ولم تمت ..

وابتسمت وهي تردد :

- يا إلهي .. الحمد لله أنني لا زلتُ حية .. لقد كنتُ أحلم أنني أحلم ! .. لن أحكي هذا الحلم المرعب لأختي السخيفة علياء .. ولكنني لن أشاهد معها أفلام الرعب بعد اليوم .

3

رسالة من شهيد

كانت أشرقت تشاهد مسرحية " سيدتي الجميلة " في التليفزيون .. وقد استرخت على كرسي الأنتريه في غرفة الإستقبال .. عندما رن جرس التليفون ..

التقطت السماعة .. بينما لم تنقطع ضحكاتها وهي تتابع مشاهد المسرحية ..

كان الأستاذ " فؤاد المهندس " .. يؤدب صدفه بنت بعضشي " شويكار " ..ويضربها بالهراوة على المقعدة .. وقد جلس على الكرسي وانحنت صدفه على رجليه في وضع يجعل ظهرها إلى أعلى .. في وضع تلقي الضرب .. لكثرة أخطاءها .. بينما كان يلقنها الدروس التثقيفية ..

فكان على صدفه أن تكرر وراءه جملة " أنت القلب الكبير " .. مخاطبة بذلك الخديوي ..

فقالت " أنت الكلب الكبير " ..

وأجابت أشرقت على الهاتف .. وقد تخللت ضحكاتها كلماتها وهي تقول :

- ألو ..

- كيف حالك يا أشرقت ؟ .. ماذا هناك ؟! .. أسمع ضحكاتك مجلجلة ! .. مع من تضحكين ؟!

- أهلاً يا سوزان .. إنها مسرحية سيدتي الجميلة .. قد تكون هذه هي المرة العاشرة التي أشاهد فيها هذه المسرحية .. وفي كل مرة أضحك كما لو كانت أول مرة !

- إنها فعلاً مسرحية رائعة .. ولكن لك عندي خبر رائع أيضاً ..

- خير يا سوزي .. هل تم إلغاء إمتحانات الثانوية العامة هذا العام ؟!

ضحكت سوزان .. وضحكت معها أشرقت ..

كانت سوزان صديقة أشرقت .. وتدرس معها في نفس الصف .. ثانوية عامة .. وهي أيضاً أخت مدحت .. الذي تم تخرجه بالأمس .. ضمن الدفعة الجديدة التي تخرجت من الكلية الحربية ..

قالت سوزان وهي تضحك هذه الضحكة الطفولية :

- ها ها ها .. ولماذا تخشين الإمتحانات ؟! .. ألا تذاكرين دروسك ؟! ..ألا يكفيك أنك تأخذين دروساً خصوصية في جميع المواد ؟! ..

- أبداً والله .. لا أخذ دروساً خصوصية في مادة الرسم ! ..

- نعم .. هذا ما كان ينقص والدتك .. الله يكون في عونها ! ..

- وأين إذن الخبر الرائع ؟! ..أم أنكِ تمزحين ؟! ..

- لا .. لا .. صدقيني لا أمزح .. فقد أخبرني أخي مدحت أنه قد تم تخريج دفعته أمس من الكلية الحربية .. لقد أصبح حضرة الضابط مدحت .. إنني سعيدة جداً له ..

- وهذا يعني أن أخي حماده .. وأيضاً أخي يوسف .. قد تخرجا معه .. فهما معه في نفس الدفعة ..

- وهل يحتاج الأمر إلى ذكاء .. لكي تخرجي بهذا الإستنتاج ؟! ..لماذا إذن تعتقدين أنني أتصل بك ؟! .. ألم أقل لك أنه خبراً رائعاً ..؟!

ولكم سُرّت أشرقت لهذا الخبر السعيد .. وقالت لصديقتها :

- الآن .. أيتها الفيلسوفة الصغيرة .. وبعد أن علمتُ منكِ هذا الخبر الجميل .. إذهبي .. مع السلامة .. فسوف أُفرِحْ ماما بهذا الخبر الطازج .. قبل أن تعرفه من أحد آخر .. فأفقد ميزة السبق الصحفي .. ولا تنسي أن تُبلغي سلامي لوالدتك ..

وأخذت أشرقت تصيح في سعادة ..

- يا ماما .. يا ماما ..

وكانت الأم في المطبخ .. تطهو طعام الغذاء .. فجاءت تستطلع الأمر وهي ممسكة .. بمنديل كبير .. من القماش .. تمسح به عن وجهها ورقبتها حبات العرق .. التي تكونت بسبب هذه الحرارة التي تنبعث من فرن الطهو ..والشعلات التي ألهبت الجو داخل المطبخ .. رغم وجود الهواية الكبيرة والمروحة المثبتة في الجدار فوق الفرن ..

قالت مندهشة لهذا الصياح :

- ماذا يا إبنتي ؟! .. لماذا هذا الصياح المجنون ؟! ..

قالت أشرقت مهللة .. مبتهجة :

- حماده ويوسف يا ماما .. أقصد حضرة الضابط حماده .. وحضرة الضابط يوسف ..

وقاطعتها الأم .. فهي مشغولة .. قالت :

- لماذا لا تقولين ما لديك بسرعة ؟! .. فالطعام في الفرن .. وأخشى أن يحترق ..

- لقد تخرجا يا أمي .. لقد تخرجا ..

وصعد الدم يغلي في رأس الأم .. وشحب لونها فجأة .. واتسعت عيناها ذعراً .. ولم تعد قدماها قادرتان على حملها ..حتى أنها تهالكت على

أقرب كرسي من كراسي الأنتريه ..

وكانت دهشة الإبنة كبيرة .. وجرت تحتضن أمها .. وقد تبدلت سعادتها إلى ألم وحيرة مما أصاب والدتها فجأة .. وتساءلت :

- ماذا يا أمي ؟! .. هل أصبتِ بدوار مفاجيء ؟! .. ماذا بكِ ؟!

وحاولت الأم أن تخفي عن إبنتها ما أصابها وأبدل حالها .. فقالت لها تهدّيء من روعها :

- بسيطة يا إبنتي .. إنه دوار بسيط .. وسوف ينتهي حالاً ..

وفي محاولة للسيطرة على أعصابها .. كانت هذه الإبتسامة المتكلفة التي رسمتها على وجهها .. قائلة :

- ومن أين لكِ يا أشرقت هذه المعلومات ؟!

- لقد اتصلت بي صديقتي سوزي منذ لحظات فقط .. وأخبرتني أن أخاها مدحت قد تخرج أمس ..

- وهو في نفس الدفعة مع حماده ويوسف ..

- نعم .. أليس خبراً رائعاً يا أمي ؟

قالت الأم .. ولا زالت تبدو متهالكة .. شاحبة ..

- إنني لا زلتُ متعبة بعض الشيء يا إبنتي .. راقبي الطعام في الفرن

.. حتى لا يحترق ..

وانحنت أشرقت على وجه أمها .. وطبعت قبلة حانية على خدها ..

قائلة :

- حاضر يا أمي .. سلامتِك ..

وظلت الأم متهالكة في مكانها .. وتسارعت ضربات قلبها .. وحدثت نفسها :

" يا إلهي ! .. لماذا تم تخريج هذه الدفعة قبل موعدها الأصلى بعدة أشهر ؟! .. ألا يعني ذلك أنهم لم يتموا برنامج تدريبهم المخطط لهم ؟ ألا يعني ذلك نقص تدريبهم ومهاراتهم القتالية عن باقي الدفعات التي سبقتهم ؟

وانقبضت .. وقفز قلبها إلى حنجرتها .. وذهبت بها أفكارها كل مذهب .. وتمتمت محدثة نفسها :

" يا أللهِ .. يا أللهِ .. إنها الحرب .. نعم .. لا شيء غير الحرب .. لا مبرر منطقي لذلك غير الحرب .. لقد قررت القيادة السياسية أن تحسم الموقف .. لقد إتخذت قرار الحرب .. "

وكأنها حاولت أن تستدعي شجاعتها .. وتنتزع نفسها من سيطرة القلق

عليها وعلى قلبها .. فأخذت نفساً عميقاً .. وبدأت تدلك قلبها برفق براحة يدها اليمنى .. وقد مالت برأسها للخلف حتى أسندتها على حافة الكرسي ..

واستمرت على هذا النحو لبضعة دقائق .. وشعرت بأفكارها وقد بدأت في التشتت .. وأخذ القلق يعبث بخواطرها .. وأخذت تجول ببصرها أرجاء المكان .. وعلى الجدران .. تبحث عن صورة إبنها حماده .. ويوسف ..

وكانت عيناها قد وقعتا على الصورة التي كانت قد علقتها على الجدار المواجه لها .. فراحت تتأمله .. من خلف الدموع التي تترقرق في عينيها ..

إنها صورة زوجها الراحل .. وقد ثبتت على حرف الإطار الأيسر الأعلى شريطاً أسوداً علامة الحداد ..

فقد رحل عن عالمها منذ ثلاث سنوات .. تاركاً لها هموماً لا قبل لها بها .. وحزنت كثيراً لفراقه .. فقد كان لها هو كل شيء .. الحبيب الحنون .. والزوج المخلص .. والصديق الوفي ..

وانحدرت الدموع حارة على خدها ..

إنها لا تستطيع أن تفكر في احتمال فقدان أي من أبنائها ..

لقد تحملت كل الآلام .. والمشاكل .. والهموم .. وحدها .. بعد رحيل الزوج .. على أمل أن يأتي يوم يتخرج فيه أولادها من الكلية الحربية .. فتفرح بهما الفرحة الكبرى .. ويتزوجون .. ويملؤون عليها البيت بأولادهم .. لعباً وصياحاً ..

فلماذا لم تفرح بهما اليوم وقد تخرجا ؟!

بل إنقبض قلبها انقباضاً كاد يقتلها ..

وواجهت عيناها عيني زوجها على الجدار .. وحدث شيء غريب ..

إنها لا تدري ما سر هذا الإحساس الذي سرى في جسدها فجأة بعد أن تقابلت عيناها مع عيني زوجها ..

فكرت ..

أتراه يؤنبني على حزني اليوم ؟! ..

أتراه يلومني على هزيمتي أمام هذا الخبر ؟! ..

خاطبت زوجها .. وكأنه ماثل أمامها .. من لحم ودم .. وقد انبعث يقف أمامها يلوم عليها فقدان شجاعتها وانهزام روحها ..

" والله ما أبكاني خوفي من الحرب .. بل أبكاني عدم تمكنهم من

التدريب الكافي .. وما قد يترتب على ذلك من ضعف الخبرات القتالية والمهارات الميدانية .. مما يضعف من قدراتهم على الأداء المطلوب في هذه الحرب في مواجهة أعداء عنيدون .. في معركة لا شك أنها ستكون شرسة كل الشراسة .. لا هوادة فيها .."

ثم قالت .. وكأنها تنهر نفسها ..

" ولكن .. اليس من المعقول أنهم سوف يحصلون على الخبرات والمهارات القتالية من تدريباتهم العملية في الميدان ؟ .. إن المناورات التي يقومون بها لهي برامج تدريبية تحاكي الميدان الحقيقي للقتال .. "

وهزت كتفيها ..

وتمتمت ..

" على أي حال .. ندعو الله أن ينصرهم .. ويعودون لنا سالمين .."

وبع هذه المواجهة مع روح زوجها .. نزل هذا الإحساس برداً وسلاماً على جسدها .. وكفكفت دمعها .. ورددت الدعاء من جديد ..

" اللهم انصرهم .. وأعدهم إلينا سالمين .."

ولما كان اليوم السادس من أكتوبر عام 1973 م. وفي تمام الساعة الثانية بعد الظهر .. جاءت الأخبار من التلفاز المصري .. بأسعد خبر

إنتظره المصريون .. سنوات وسنوات .. والذي أذهلهم .. بل أذهل العالم ..

وجاء البيان الأول من القوات المسلحة المصرية ..

لقد نفذت القوات الجوية المصرية ضربة جوية على الأهداف الإسرائيلية خلف قناة السويس .. وتشكلت القوة من 200 طائرة .. عبر قناة السويس ..

وفي لحظات .. كان المصريون يلتفون حول المذياع والتلفاز .. في المنازل .. في المقاهي .. وفي كل مكان ..

كل المصريون .. بكل طوائفهم .. بكل فئاتهم .. على إختلاف أعمارهم .. كان الشاغل الأكبر للجميع هو متابعة هذه الأخبار البهيجة التي تأتيهم من القوات المسلحة المصرية .. بإنتصارات أثلجت صدورهم .. وأعادت لهم كرامتهم .. وإنتزعت من قلوبهم روح الهزيمة التي أطبقت عليها منذ نكسة عام 1967 م. .. ولم يكن المصريون قد تخلصوا من آثارها بعد ..

وكان هناك ما اشترك فيه الجميع دون استثناء .. ألا وهو تصديق كل ما كان يُعلن من قِبل القوات المسلحة المصرية ..

كان هناك شعوراً عاماً بالمصداقية ..

وفي خلال ستة ساعات فقط .. كان جنودنا البواسل قد اخترقوا خط بارليف .. مما أذهل العالم .. بعد أن أوهم الإسرائيليون العالم كله بأن خط بارليف هو مانع لا يُقهر .. هو أسطورة لا قِبل لأحد بها .. ولا بهزيمتها .. ولا إختراقها ..

وإذا بالجيش المصري يخترقها .. بل ويدمرها .. فقط .. في ستة ساعات ..

وحطمنا أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر ..

وكان الإسرائيليون قد أنفقوا نحو 300 مليون دولار أمريكي لإنشاء سلسلة من الحصون والطرق والمنشآت الخلفية .. أطلقوا عليها اسم خط بارليف .. وامتدت هذه الدفاعات لأكثر من 160 كيلو متر على طول الشاطيء الشرقي لقناة السويس .. وتم تحصينها بالموانع القوية وحقول الألغام .. وفوق جانب القناة أنشأ الإسرائيليون ساتراً ترابياً ضخماً على طول الضفة الشرقية .. بارتفاع من 10 متر .. إلى 25 متر ..

وكان هذا هو خط بارليف .. الذي دمره الجيش المصري الشجاع ..

وبحلول ليل ذلك اليوم .. السادس من أكتوبر .. كان قد عبر إلى الضفة الشرقية ستون ألف جندي مصري ..

وتوالت الإنتصارات في اليوم التالي .. سبعة أكتوبر .. حتى أصبح لدينا خمس فرق مشاة بكامل أسلحتها في الضفة الشرقية للقناة ..

ومع انتهاء يوم تسعة من أكتوبر .. كانت خسائر إسرائيل قد بلغت خمسمائة دبابة .. وثلاثمائة طائرة حربية .. ونحو تسعة آلاف قتيل .. من المدنيين والعسكريين .. بالإضافة إلى عشرين ألف جريح ..

وكانت الطائرات السورية قد شنت هجوماً شاملاً في هضبة الجولان السورية .. على المواقع والتحصينات الإسرائيلية في عمق الجولان .. وحقق الجيش السوري نجاحاً كبيراً .. مما أربك وشتت الجيش الإسرائيلي .. الذي كان يتلقى الضربات في كل مكان من الجولان

ورُفِع العلم السوري فوق أعلى قمة في جبل الشيخ .. وتراجع العديد من الوحدات الإسرائيلية تحت ضغط نجاحات الجيش السوري ..

وبدأت أمريكا تخشى انتهاء الحرب بالهزيمة النكراء لإسرائيل .. فتدخلت وأمدتها بالسلاح .. والأموال ..

وهو ما دعى أصدقاء مصر من الدول العربية المنتجة للنفط .. لأن

تستخدم سلاح النفط .. وترفع أسعاره من جانب واحد .. وتعلن توقف تصدير النفط لأمريكا .. وللغرب ..

كما بدأت الجيوش العربية تنضم إلى صفوف الجيش المصري والجيش السوري في ملحمة عربية رائعة .. لقنت إسرائيل درساً قاسياً ..

وأفقدت قادتها الإتزان مما دعا رئيسة وزراء إسرائيل " جولدا مائير " .. في ذلك الوقت .. تعلن أن هذا هو أسود يوم في تاريخ إسرائيل ..

وانتصرت قواتنا المسلحة ..

وأقيمت الأفراح في كل ربوع مصر ..

وامتدت الإحتفالات أيضاً إلى كل البلاد العربية .. فكان هذا هو أول انتصار حقيقي للعرب على إسرائيل .. بقيادة القوات المسلحة المصرية واكتشفنا في ميدان القتال دبابات أمريكية وأسلحة لأول مرة يتم دخولها الخدمات القتالية .. في ميدان المعركة .. مما دعا الرئيس المصري محمد أنور السادات يُعلن للعالم أننا نحارب أمريكا وإسرائيل .. في إشارة إلى المساعدات اللامتناهية من أمريكا لإسرائيل .. ليس فقط على المستوى العسكري .. بل أيضاً المستوى السياسي .. والدعائي .. وتم قبول اتفاقية روجرز لوقف القتال .. بين مصر وإسرائيل .. لقد

انتهت إذن حالة الحرب ..

وانتظر الأهالي عودة أبناءهم ..

وحان موعد تقديم كشف الحساب ..

مَن مِن البيوت .. قد قدّم شهداء ؟! .. وكم قدّم منهم ؟! .. وكم قدّم من الجرحى والمصابين ؟! ..

وبدأت أشرقت تشعر بانقباض داخلي .. وخوف يملأ كيانها ..

إنها تخشى مجرد أن تتحدث مع أمها حول مصير أخويها ..

يا ترى أين أنت يا حماده .. وأين أنت يا يوسف ..

إن مجرد تخيل أن يكون مكروهاً قد أصاب أيّ منهما .. لا قدّر الله .. كان يقتلها ..

كما كانت الأم تنهشها الهواجس قلقاً على سلامة ولديها .. بل كانت خائفة حتى الموت .. إلا أنها كانت ترى كل أشباح الخوف والرعب التي تملأ نفس البنت الصغيرة التي لا تمر ليلة واحدة دون أن تقوم فذعة من الأحلام والكوابيس التي تراودها ..

وأنهكهما الإنتظار .. بل كاد أن يقتلهما ..

وكان الزمن قد توقف ..

فاليوم يمر وكأنه شهراً كاملاً ..ولا ينقطع إتصالهما بكل من تعرفان ..

للسؤال عن أية معلومات قد تريح قلبيهما ..

وتعلقت العيون على الباب ..

والآذان .. تارة مع رنين التليفون .. وتارة مع وقع الأقدام أمام الباب ..

وتارة مع رنين جرس الباب ..

وآخر اليوم ..

يخيم الوجوم والإرتباك على المكان .. وتأخذ أشرقت والأم في البكاء

وتنتحبان .. وترتميان على السرير .. وتستسلمان للنوم ..

وكثيراً ما نهضت أشرقت فذعة من نومها ..

واليوم .. هو الأشد ألماً ..

فكانت أشرقت تتأوه بشدة ..

وصحت الأم من نومها والقلق يساورها .. وسمعت التأوهات ..

وسألت إبنتها وهي تتحسس جبهتها .. ظناً منها أنها تهذي من حمى

أصابتها ..

- ماذا بك يا أشرقت ؟!

- لا شيء محدد يا أمي .. فإنني منذ الصباح وأنا أشعر بألم .. لا

أدري أين .. ولا أعرف مصدر هذا الألم .. فقط لديّ رغبة قوية في البكاء .. إن جسدي كله يرتعد ..

- سوف أتصل بالدكتور حالاً ..

- لا .. لا .. فلا سبب عضوي .. فماذا أقول له عن سبب شكواي ؟!

.. أو مصدر الألم .. وأنا نفسي لا أعلم !

وجاءت اللحظة الحاسمة ..

ورن جرس الباب .. وانتفضت أشرقت وهرولت تنظر من عدسة الباب حتى تتبين من بالباب كعادتها .. وانفجرت باكية .. وارتفع صراخها مدوياً .. حتى ارتعدت فرائص الأم .. وكادت تسقط أرضاً .. مغشياً عليها ..

وتبينت الأم من بين الصراخ كلمات أشرقت .. وهي تقول :

- إنه أخي حماده .. أخي حماده عاد يا أمي .. حماده وصل ..

قالت هذا وهي تفتح الباب .. ولم تلبث أن قفزت على أخيها .. واحتوته في حضنها .. فلم تستطع أن تنتظره حتى يدخل البيت .. وراحت تمطره بالقبلات في وجهه .. وفي كل مكان .. وهي تبكي .. حتى أن دموعها بللت وجهه .. وياقة قميصه ..

ولم يكن حماده أقل منها شوقاً .. ولم يكن أقل منها تقبيلاً .. ولم يكن أقل منها بكاءًا ..

إلا أن سبب بكاءه لم يكن هو نفسه سبب بكائها ..

وكانت الأم أيضاً قد وصلت في ثواني .. باكية .. متشوقة ..

وحاولت انتزاع إبنها من بين أحضان أخته .. لكي تحتضنه .. وتغرقه في قبلاتها ..

وبعد جهد .. ومحاولات متكررة .. استطاع حماده أن يتخلص جزئياً من أحضان أخته التي لا زالت تبكي .. وقام هو باحتضانها هي وأمه معاً في حضن واحد .. وهو يقبل قبلة هنا .. وقبلة هنا .. بينما دموعه كانت تسيل سيلاً .. وتنهمر بلا انقطاع ..

وكل هذا والجيران يقفون أمام هذا المشهد الرهيب .. لا يعرفون كيف يتصرفون .. ولا ماذا يقولون ..

وبكاء الجميع .. كان هو سيد الموقف ..

وودعهم الجميع .. وتركوهم .. فليدخلوا منزلهم .. وليتعانقوا ما شاء لهم .. قائلين :

- حمداً لله على سلامتك يا حماده .. نرجو أن يصل أخوك يوسف

أيضاً قريباً .. حتى تتم فرحتنا ..

وانفضّ الجيران .. على أمل اللقاء مع حماده بعد أن تهدأ هذه الحالة الملتهبة من العواطف .. وحتى يجف هذا النهر من الدموع ..

وأخيراً دخلوا البيت .. وأغلقوا الباب ..

وفي الداخل .. إرتجفت الأم .. وكأنها أفاقت وتذكرت شيئاً .. وتساءلت ..

- أين أخوك يا حماده ؟! ..أين يوسف ؟! .. ولماذا لم يحضر معك ؟! .. ألم يستطع أن يحصل على أجازة ؟!

وارتمى حماده على الكرسي الذي خلفه .. متهالكاً .. وهو يرتجف من شدة الهلع .. وكان وجهه يعبر عن انفعال شديد .. حتى أن طرفي شفتيه أخذتا ترتعشان .. وأخفى وجهه بين راحتيه .. وأجهش للبكاء المرير .. وأصبح تنفسه ثقيلاً .. وبدأ يشهق من شدة البكاء .. وقد اعتصره عجزه عن احتمال الموقف .. الذي كان ثقله يسحقه سحقاً .. واتجهت إليه جميع الأنظار خلال لحظات في جو من صمت مطبق .. إلا من صوت نشيج حماده .. وشهيقه ..

وقد ازدحم الدم في رأسه .. وتعثرت كلماته ..

إنه لا يعرف ماذا يقول .. وكيف يقوله ! ..

ولم تتحمل أشرقت ما أوصلها إليه خيالها .. بعد هذا الذي تراه من حماده .. فلا معنى إلا واحد .. ولا تفسير إلا واحد ..

وصرخت المسكينة قائلة لأخيها :

- لا .. لا تقلها .. لا تقل شيئاً .. يوسف .. يوسف يا أخي ..

وانهار جسدها الصغير الضعيف .. وسقطت أرضا فاقدة الوعي ..

وتمدد جسدها على البساط .. وقد انسدلت خصلات شعرها على وجهها فبللته الدموع ..

أما الأم فقد اجتاحتها موجة عارمة من الحزن .. وانهمرت الدموع من مآقيها غزيرة .. وخيل إليها وهي تتداعى من الحزن .. أن مطرقة هائلة جعلت ترتفع إلى أعلى لتهبط بكل قوة على فؤادها فتهشمه .. وإنها لتوشك أن تتحطم .. وقد عصف الريح بقلبها .. وكأنها في اليم .. ما عليها إلا أن تستسلم للحزن .. يمزقها .. حتى تموت .. وتموت .. واستخرطت في بكاء مرير .. وسح دمعها مدراراً .. وبلغت روحها التراقي .. وبكى قلبها .. كما لم يبكِ من قبل ..

وجرى حماده يحضر الماء ويسكبه على وجه أشرقت .. ونثرت الأم

عليها العطر .. حتى أفاقت باكية ..

وقالت منتحبة :

- حبيبي يا يوسف .. لن أراك مرة ثانية .. أريد يوسف .. قلبي ..

قلبي سوف يتوقف ..

وكأن الأم لا تريد أن تعترف بالواقع الذي صدمها .. وصدم إبنتها ..

فأفقدتها الصدمة رشدها ..

وسألته الأم مرة أخرى .. وقد شردت عيناها .. وزاغ بصرها .. وبهت

صوتها .. قالت :

- لمَ لمْ تخبرنا عن أخيك شيئاً ؟ .. هل أصابه مكروه ؟!

وكان هذا كثيراً على أعصاب حماده ..الذي وجد نفسه بين مطرقة ما

حدث لأخيه .. وسندان نقل هذه الأخبار القاسية لأمه ولأخته ..

قال بصوت مبحوح مخنوق .. في كلمات بطيئة متقطعة .. باكياً

بحرارة :

- يا أمي .. بالله عليك يا أمي .. لا أعرف ماذا أقول لكما .. ولا كيف

أقولها ..

إنه يشعر باضطراب عميق في ذهنه .. أفكاره تتلاحق وتتبعثر .. بغير

تسلسل ينظمها .. وبغير رابطة تصل بعضها ببعض .. أن لسانه لا يطاوعه على النطق بما حدث لأخيه ..

إنها مسألة أساسية فاجعة مستعصية .. تسيطر في فكره على سائر الهموم الأخرى .. وتلاحقه .. وترهق قلبه .. كأنها الجبل ثقلاً .. وضعف صوته .. وانبجست الدموع من عينيه مرة أخرى .. وأخرى .. وأخرى ..

فأخذ يبكي منتحباً .. وأخذت تخنقه تشنجات قوية ..

قال :

- لا أستطيع يا أمي .. لساني غير قادر .. لا يطاوعني ..

وعادت الأخت للبكاء والعويل ..

وأخرج حماده بعض الوريقات المطويات من جيبه .. وقدمها لوالدته قائلاً :

- لقد عثرنا معه على بعض الخواطر والمذكرات التي كان يكتبها على أمل أن يرسلها إليكِ يا أمي ..

وفي لهفة .. وبحركة سريعة خاطفة .. التقطت الأم الوريقات من يد حماده .. متسائلة :

- مذكرات ؟ ! .. يا حبيبي يا يوسف .. أعطينيها .. ماذا كتب ؟!

وأخذت تفتح الوريقات .. ويديها المرتعشتين غير قادرتين على فتحها .. حتى أنها كادت أن تسقط من بين أناملها المرتعشة .. إلا أنها أخيراً نجحت .. وفتحتها .. وهي تتمتم :

حبيبي يا يوسف ..ماذا كتبت لأمك ..

وتساءلت :

مالي لا أستطيع السيطرة على أعصابي .. وكأنني قد شلت يدي .. ولم يشغلها أمر يدها كثيراً ..

وأخذت تقرأ في صمت .. إلا أن أشرقت قالت لها مستعطفة :

- أرجوكِ يا أمي .. أرجوكِ أن تقرئي بصوت مسموع .. فأنا أتشوق أيضاً لمعرفة ماذا كتب .. وفيم كان يفكر ..

وكان من الطبيعي أن تستجيب الأم لطلب إبنتها .. رغم صوتها الذي جاء ضعيفاً .. مرتعشاً .. تبلله الدموع .. ويتخلله البكاء .. ويلفه حزن عميق .. يحتاج إلى أعصاب فولاذية .. لتتحمله ..

قرأت :

" صباح الخير يا أمي الحبيبة .."

وكأنه كان يجلس بين يديها .. ردت الأم :

- صباح الخير يا يوسف .. يا حبيبي ..

وراحت تكمل القراءة ..

" صباح الخير يا أختي الجميلة .. أحلى أخت ..

اليوم هو الثامن من شهر أكتوبر .. الذي سوف يخلده التاريخ .. مع ملحمة خالدة بدأها الجيش المصري في أول أمس .. لتحطيم أسطورة .. ظن الجميع أنها أسطورة .. حتى أول أمس .. عندما أثبتنا للعالم أن الجيش الإسرائيلي إنما هو كيان هش .. نفخ فيه الإسرائيليون ليجعلوا منه أسطورة كاذبة .. ترنحت .. بل هوت .. تحت أقدام القوات المسلحة المصرية ..

إنني أكتب لكما وأنا الآن أجلس على رمال أرض سيناء .. وأنتما تعلمان كم هي غالية علينا أرض سيناء ..

لقد قبلناها فور أن وطأت أقدامنا رملها ..

وسجدنا لله .. الذي منحنا هذا النصر .. الذي استحققناه .. بعد أن دفعنا فاتورة قاسية من دماء الكثير والكثير من الشهداء .. الذين روت دماؤهم هذه الأرض الطيبة .. وينتظر الباقون دورهم في الفوز

بالشهادة .. فداء الوطن ..

وكان في هذا ضغط شديد على أعصاب الأم المنهارة .. فكانت تتوقف بضع ثواني تكفكف دمعها وتسترد أنفاسها التي تقطعت .. بل كادت أن تتوقف .. وكان الألم يعتصر قلبها ..

وأشفق حماده على الأم .. وحاول أن يأخذ منها الوريقات ويكمل هو قراءتها ..

قال لها في رفق .. مشفقاً عليها :

- دعيني أكمل يا أمي .. فلا تضغطي على أعصابك أكثر من هذا .. ولتخففي من الضغط على قلبك الذي نكاد نسمعه ينكسر بين ضلوعك ..

إلا أنها حاولت أن تستجمع قواها وتستدعي تماسكها .. قالت :

- بل أكمل أنا يا بني .. فأنا لا أقرأ له .. بل أسمعه يحدثني .. وأتخيل كيف كان يكتب .. وكيف كان يجلس .. وكيف كانت فرحته .. إنني أكاد أسمع أنفاسه يا بني وأنا أقرأ كلماته .. إنني أشتم رائحة يوسف في هذه الورقة ..

وراحت تكمل ما توقفت عنده ..

" إن السماء صافية .. والجو صحواً .. والشمس ترسل إلينا أشعتها

الدافئة .. وإنما لتحتفل معنا بهذا النصر العظيم ..

الله .. الله يا أمي .. ويا أشرقت .. ليتكما كنتما معي الآن .. إنه مشهد لا ينساه أحد العمر كله ..

إن طائرة إسرائيلية ظهرت في السماء .. وإن هي إلا لحظة واحدة .. بل أقل .. وانطلق صاروخ حراري يطاردها .. إننا نراه يطاردها .. تتجه يمين فيتجه خلفها .. ويحاول الطيار الإسرائيلي أن يهرب من ملاحقته .. فيرتفع بالطائرة لأعلى .. فيرتفع الصاروخ وراءه .. حتى يدركه .. ويحطمه .. فتتبعثر أشلاؤه محترقة في سماء سيناء ..

الله أكبر .. ألله أكبر .. ها هي الطائرة الثانية تتفجر .. وتهوي محترقة .. ممزقة ..

والتي تليها .. والتي تليها ..

يا للروعة ..

يا لجمال هذه الصواريخ يا أشرقت .. وهي تحلق وراء الطائرات .. ولا تتركها حتى تحطمها وتمزقها تمزيقاً ..

كم نحن فخورون يا أمي بجيشنا .. ووطننا ..

هل تعلمين يا أمي أول أمس .. لقد كنا نعبر قناة السويس بكل سعادة ..

بكل جرأة وشجاعة .. مكبرين .. الله أكبر ..

وعندما رفعنا علم مصر على أرض سيناء .. إنما كنا نرفع رؤوسنا عالياً .. ونرفع عن أكتافنا أحمالاً ثقالاً .. أحنت ظهورنا بعد ما حدث في العام 1967 م.

وأخذنا نقتل أعداءنا .. ونقتل .. والجنود الإسرائيليين يفرون أمامنا .. ونلاحقهم .. ونقتلهم .. كما يفعل هذا الصاروخ الرائع في ملاحقته للطائرة ..

إنهم جبناء يا أمي .. لا تتخيلي كيف كانوا يهرعون .. ويجرون خائفين .. مرعوبين .. أمامنا .. والخوف يقتلهم .."

ولما انتهت الأم من قراءة الورقة الأولى .. فتحت ورقة ثانية ..

وقرأت :

" صباح الخير يا أحلى أم .. ويا أحلى أشرقت ..

اليوم هو يوم جديد في عمر الملحمة الرائعة ..

تخيلي يا أشرقت ..

اليوم سمعت أمي وهي تدعو لي ..!

هل تعلمي كيف سمعتها .. وبيني وبينها هذه المسافات البعيدة ؟

نعم .. لقد سمعتها .. في كل توفيق يوفقني الله .. وأنا أقاتل الأعداء .. وأنا أدمر دباباتهم .. فما كان الله ليوفقني .. بدون دعاء أمي الحبيبة .. إنني كلما هممتُ بالهجوم على الجنود الإسرائيليين .. كبّرتُ ..الله أكبر وهتفتُ .. يا بركة دعاء أمي .. فلا شعرتُ بالخوف قط .. ولا انهزم قلبي ..

لقد استطعنا أنا ومجموعتي من تدمير ما يزيد عن عشرين دبابة .. أمس فقط .."

وارتعش جسد الأم .. وانهارت أشرقت ..

وأخذ حماده الوريقات من أمه .. قائلاً :

- كفى يا أمي .. كفاك ما أصاب جسمك من ارتعاد ورعشة وانهيار أختي أشرقت .. لا تعذبي نفسك أكثر من هذا ..

وأشار إلى أخته التي ارتمت على الكرسي وتمدد جسدها وهي منحنية .. تتأوه من الألم .. فجسدها الصغير لم يتحمل ما يقوله أخوها في يومياته ..

وقال لأمه :

- ثم انظري إلى المسكينة أشرقت كيف نطلب منها أن تتحمل ما لا

يُطاق ؟! .. أرجوكِ يا أمي .. إن لم يكن من أجلك .. فمن أجل أختي .. إن كلمات يوسف أدمت قلبها ..

واستسلمت الأم ..

وتركت حماده يسحب الورق من يديها .. ويطويها .. ويعيدها إلى جيبه مرة أخرى ..

وأجلوا قراءة ما تبقى من المذكرات .. على الأقل حتى تفيق أشرقت .. التي أعلن جسدها النحيل أنه غير قادر على احتمال المزيد ..

واعتدلت الأم في جلستها على الكرسي .. وقد ألقت برأسها للخلف .. لتستقر على حافة الكرسي .. وألقت ذراعيها تلفهما حول مسانده .. وقد ضعف جسمها .. وكأنها قد استسلمت لما لا فرار منه .. ولا مناص من الإعتراف به .. والتعامل معه .. والدموع تنهمر من مآقيها وقد أرهقهما كثرة البكاء .. وتركزت عيناها على عيني زوجها .. وكأنها تناجيه .. أو تطلب منه العون .. وأن يحمل عنها هذه الصدمة .. كما عاهدها دائماً ..

وأغمضت عينيها .. وتركت لدمعها حرية التسلل إلى خدودها في حرارة ..

وراحت تتمتم ..

- لا إله إلا أللّه .. محمد رسول أللّه .. ولا حول ولا قوة .. إلا باللّه ..

اللهم احسبه من الشهداء .. واحشره مع الأنبياء والصالحين ..

وأشهد أنه كان نعم الإبن البار ..

ثم قالت وكأنها ترى إبنها الغائب ..

- ولسوف تظل يا حبيبي يا يوسف .. فخراً لنا جميعاً .. ولن ننساك ما حيينا ..

ثم توجهت بقلبها إلى المولى عز و جل .. تناجيه :

- أللهم صبر قلوبنا على فراقه ..

وفتحت عينيها وأرسلت نظراتها إلى صورة زوجها .. واستتلت باكية .. وقد استدعت كل الصعاب التي مرت بها .. وواجهتها مع زوجها .. حيث كان عوناً لها .. قبل أن يتركها للمشاكل والصعاب تصارعها ..

ودعت بقلبها :

- يا رب .. ألهمني الصبر على فراق كل من أحببت .. وأعنّي .. فلا أصعب من فراق الأحباب .

3

صندوق القبلات

كم أوجعت قلبي ..

قصة الطفلة " وفاء " [1] ..

كانت وفاء .. ذات الخمس سنوات .. تعيش مع أبيها وأمها في سعادة ..

ليس لها في الدنيا غير أمها .. التي تحبها حباً جماً .. وأبوها الذي

يحبها كثيرا رغم انشغاله الدائم عنها بعمله الذي لا ينقطع ..

و رغم أن هذا العمل لا يدر له إلا القليل ..

وجاء اليوم الذي حمل للصغيرة .. ولقلبها الصغير .. أسوأ الأخبار ..

فقد ماتت أمها ..

وأصبحت وحيدة .. بائسة ..

بعد أن أطفأ الموت الشمعة الوحيدة في حياتها ..

بعد أبيها ..

وكان أن تركزت كل مشاعر الحب على أبيها ..

.....

(1)- ترجمة لفكرة قصة قصيرة غير معروف كاتبها .

فلم يعد لها سواه ..

ومرت الأسابيع ..

جلست الطفلة تفكر ..

" بعد عدة أيام سوف يأتي عيد ميلاد بابا .. وعليّ أن اقدم له هدية عيد الميلاد ..

فماذا أفعل ..

إنني لا أملك نقودا .. فكيف أشتري له هدية ؟! .. "

وكان لديها صندوق خشبي جميل ..

أحضرت وفاء الصندوق .. وفتحته .. كان خاويا ..

ولكنه كان صندوقا جميلا ..

ورأت وفاء أنه يفي بالغرض ..

في كل صباح .. عندما تصحو وفاء ..

كانت تحضر الصندوق .. وتفتحه .. وتضع في داخله " قبلة " ..

وهي تقول :

" صباح الخير يا بابا .. أنا بحبك أوي " ..

وفي المساء .. وقبل نومها .. كانت تقول .. وهي تقبل الصندوق ..

" تصبح علي خير يا بابا .. أنا بحبك أوي " ..

وكررت وفاء هذا .. كل صباح ..

وكل مساء ..

حتي جاء يوم عيد ميلاد أبيها ..

فأحضرت وفاء الصندوق ..

وفتحته .. ونفخت فيه قبلتها وأغلقته ..

وهي تقول :

" كل سنة وانت طيب يا بابا .. أنا بحبك أوي " ..

واتجهت في سعادة غامرة إلى أبيها ..

وتلألأت عيناها بالفرح ..

فلقد استطاعت أن تعد هدية جميلة لعيد ميلاد أبيها ..

وفكرت ..

" سوف يفرح أبي كثيرا بهذه الهدية ..

سوف أخبره أنني سعيدة .. بعيد ميلاده .. "

إتجهت إليه .. لكي تقدم له هدية عيد ميلاده ..

وكان يجلس علي المائدة .. استعدادا لتناول طعام الإفطار ..

وقد بدى عليه عدم الرضا .. لما وصل إليه الحال في أعماله ..

التي انخفض عائدها إلي درجة كبيرة ..

رغم مضاعفة مجهوده ..

قالت له ..

وقد وقفت علي أطراف أصابعها .. حتي تدرك وجهه ..

وقبلته في خده .. قبلة .. أودعتها كل حبها ..

الذي يحمله قلبها الصغير .. لأبيها ..

ومدت له يدها الرقيقة .. حاملة الصندوق ..

ووجهها يفيض فرحا .. وسعادة ..

قالت في حب وسعادة .. كاد قلب الصغيرة أن ينفطر لها :

- كل سنة وإنت طيب يا بابا .. هذه هي هديتك .. في عيد ميلادك ..

فقال الأب في دهشة :

- ما هذا .. ماذا يوجد في هذا الصندوق ؟!

قالت الصغيرة .. ولا زالت عيناها تتلألآن .. سعادة وبهجة :

- افتحه يا أبي .. وسوف تري الهدية التي أعددتها .. لكي أقدمها لك

في عيد ميلادك ..

فتح الأب الصندوق ..

إنه لا يرى في الصندوق شيئا ..

صاح ثائرا :

- إن الصندوق فارغ .. ليس به شيء ..

فقالت له برقة .. والإبتسامة لا تفارق شفتيها الصغيرتين :

- كيف يا أبي .. ألا تري الهدية ؟! ..

وقف الأب مزمجرا .. يضرب الأرض بقدمه ..

قال وصوته يهز المكان :

- أية هدية هذه أيتها الشقية البائسة ..

لقد جننتِ .. وذهب عقلك ..

هذا ما كان ينقصني ..

عليك اللعنة .. أنت وهذا الصندوق البائس ..

قالت الصغيرة باكية :

- يا أبي .. ألا تري قبلاتي .. التي أنفخها كل صباح .. وكل مساء ..

في الصندوق .. لكي أقدمها لك .. هديتي لك .. في عيد ميلادك ؟! ..

يبدو أن ضغوط الحياة .. وقسوة الأيام .. كانت قد تملكت من الأب ..

فلم يعد يتمالك نفسه ..

وفي قوة غضبه ..

ألقي بالصندوق علي الأرض ..

فتناثرت أشلاؤه في كل مكان ..

وصفق الباب خلفه .. ومضي إلي عمله ..

حزنت وفاء .. علي رفض أبوها للهدية ..

وحزنت علي الصندوق ..

الذي تناثرت أشلاؤه في كل مكان ..

وحزنت أكثر .. علي قبلاتها ..

التي تناثرت على الأرض .. مع أشلاء الصندوق ..

وتركت عينيها تجودان بما لديهما من الدموع ..

في بكاء مرير .. جدد حزنها علي فراق أمها ..

وحزنها علي وحدتها ..

وحاولت أن تجمع من أشلاء الصندوق ما استطاعت ..

حيث ارتبطت في ذهنها أشلاء الصندوق .. بقبلاتها ..

ووضعت هذه الأشلاء بجوارها في السرير .. تنام معها .. وتصحو

معها ..

فلا أحد معها ..

ولا شيء لديها ..

سوى هذه الأشلاء .. المليئة بالقبلات ..

وبعد عدة أيام ..

وفي حادث دهس مريع ..

شطب فتى أرعن .. إسم الصغيرة وفاء .. من سجلات الأحياء ..

وفقدت وفاء حياتها .. وفاضت روحها البريئة إلى خالقها ..

وحزن الأب حزنا شديدا ..

حتي كاد قلبه يتوقف ..

وتألم أشد الألم ..

لفقده صغيرته .. التي كانت تملأ الدنيا عليه .. دون أن يدري ..

وكان يحبها حبا ملك عليه قلبه ..

ولكن ظروف حياته .. وضيق ذات اليد .. وتراكم الهموم ..

كل ذلك غطى على حبه للصغيرة ..

إلا أن فقدانه لها .. أيقظه ..

وكاد الحزن أن يذهب بعقله ..

فأخذ يجمع أشلاء الصندوق .. يصلحه .. ويعيده إلي ما كان عليه ..

ويفتحه كل مساء .. ويقول لروح إبنته :

" تصبحي علي خير يا صغيرتي .. بابا بيحبك أوي " ..

ثم ينفخ فيه " قبلة " .. يملأها الندم ..

وإذا أصبح .. يفتح الصندوق .. ويقول لروح طفلته :

" صباح الخير يا حبيبتي الصغيرة .. بابا بيحبك أوي " ..

ثم ينفخ فيه قبلة .. مبللة بالدموع ..

والندم .

5

المحتال

كان عم صادق في بداية الستينات من عمره .. بشوش الوجه .. لا تكاد الإبتسامة تفارق شفتيه .. وقد امتلأ قلبه حباً للناس ..

يثق في الجميع .. ويحبه الجميع ..

يشتعل حماساً للحياة .. وحباً للعمل .. صموتاً .. قليل الإفصاح عن نفسه .. معتدل المزاج .. شديد التدين .. بغير مغالاة أو تطرف ..

يداوم على أداء صلاة الفجر يومياً في المسجد ..

وكانت زوجة عم صادق .. " هكذا كان الجميع ينادونه " .. كانت من أسرة عريقة غنية .. طيبة الأصل .. حلوة اللسان .. مجاملة .. غير نمامة .. تحب أسرتها .. وتفني نفسها في خدمتهم ..

وأخذ مجدي .. الإبن الأكبر .. عن والده .. من طباعه الكثير .. فكان شاباً ذو نفس هادئة .. صافية رائقة .. لا يحتفظ أبداً بذكرى إساءة نالته من أحد .. أو إهانة ألحقت به .. بل كثيراً ما كان يبادر إلى التعامل الإيجابي مع المسيء إليه .. وكأن شيئاً لم يحدث .. كما أنه كان شديد الحياء ..

وهكذا كان الحال بالنسبة للإبن الأوسط .. فكان منير قريباً جداً من أخيه مجدي .. في الطباع .. وحتى في الملامح .. ودوداً .. محباً للخير .. وللناس ..

أما سمير .. وهو الإبن الأصغر .. فلأنه كان " آخر العنقود " ..كما يقولون .. فقد كان الأب يسرف في تدليله .. يبرر دائماً له أي خطأ .. بلا عقاب .. ويقولون أنه .. من أمن العقاب .. أساء التصرف ..

ولم يكن أبوه ليمنع عنه أي أموال لشراء احتياجاته التي لم تكن تنتهي ونتيجة لذلك .. كان من الطبيعي أن ينشأ سمير مدللاً .. أنانياً .. يحب نفسه باسراف .. كثير الصدام مع الآخرين .. على كراهية مفرطة للجميع .. لكل الناس .. وكانت له طبيعة سيئة جداً ..

من سماته الغش .. نكران المعروف .. التصرف بنذالة مع الآخرين ..

أما علاج أخطاءه .. فكان بأن يندب حظه العاثر ..

كان فتى أرعن .. طائش .. مندفع .. تسيطر عليه أهواؤه الجامحة .. وتتحكم فيه رغباته العنيفة .. نافذ الصبر .. محباً للهو .. والمجون .. في البداية كره أخويه .. لأنهما يعرفان كيف يحافظان على اللعب التي يشتريها لهما والدهما .. بينما لعبه هو تنكسر وتفسد منذ اليوم الأول ..

فيأخذ في تكسير وإفساد لعب أخويه ..

كما كره فيهم تحصيل درجات في الدراسة أفضل منه .. وتفوق درجاته بكثير ..

وبعد ذلك كره زملاءه في المدرسة .. لأنهم يرفعون أيديهم طلباً للإجابة على أسئلة المدرس التي يوجهها للطلبة .. ويعتبرهم بذلك يتسببون في إحراجه .. لأنه في الغالب لم يكن يعرف الإجابة ..

وكره المدرسين الذين يضربونه .. أكثر من الآخرين ..

وكره جارهم في السكن لأنه كثيراً ما كان يصاب بالزكام .. كثير التمخط ! ..

وهكذا كان لديه الكثير من المبررات لكي يكره الناس ! ..

وغاضت لديه كل ينابيع الحب .. حتى أنه لم يبق هنالك شيء يعد منافياً للأخلاق .. فكان يرى أن كل شيء مباح ! ..

والأنانية بلغت حداً لا سقف له ..

وأحب سمير وسامته .. وجمال ملامحه .. فكان ينفق الكثير في شراء الملابس والأحذية والعطور ..

كما أحب مغازلة الفتيات ..

فدعته طباعه الشهوانية إلى مغازلة والتحرش بأي فتاة ..

ليس شرطاً أن تكون جميلة ..

ليس شرطاً أن تكون هي نفسها راغبة في مغازلته .. أو تحرشه بها ..

فلم تسلم من مضايقاته السخيفة فتاة من فتيات الحي ..

ولقد ورث الأولاد الثلاثة عن أمهم دقة الملامح .. واتساع العينين ..

وطول الأهداب ..

كما ورثوا عن أبيهم طول القامة .. وصغر الأنف .. والشعر الأسود

الناعم ..

ولم يكن من طباع عم صادق أن يتصرف في شئون مستقبل الأسرة

منفرداً .. على أساس أن قراراته سوف تعود نتائجها على الجميع ..

إيجابية كانت أو سلبية .. فلا مانع لديه من مناقشة أمور الأسرة مع

أفراد أسرته .. واختيار الأصوب ..

وهذا ما دعا عم صادق أن يطلب من زوجته وأولاده الثلاثة أن

يجتمعوا في حجرة الصالون .. لأن لديه ما يرغب في مناقشته معهم ..

كان الصالون أوسع غرفة في المنزل .. وقد وضعت الأزهار بعناية

في كل ركن من الأركان .. في أحواض الزهور .. التي تم اختيارها

بذوق رفيع .. وعلى أحد الطاولات قد استقر حوض أسماك زجاجي كبير يحوي أجمل الأنواع من أسماك الزينة ..

وهذان أصيصان للزهور يزينان حافة النافذة ..

أما على الجدران فقد علقت لوحات كبيرة لآيات قرآنية .. تم زخرفتها بحرفية فنية عالية ..

وتدل الستارة على الباب أن ذوقاً رفيعاً قد اختار هذه الستارة لتزين الغرفة .. وقد تناسقت ألوانها مع لون السجادة .. ولون القماش الذي يكسو كراسي الصالون ..

واجتمع الأب والأم .. والأبناء إلا سمير ..

فعندما علم سمير أن أباه يرغب في مناقشة أمراً هاماً .. وأنه قد دعا لاجتماع يضم الجميع .. فقد شرد ذهنه بعيداً .. بعيداً ..

وهرول مسرعاً خارجاً من المنزل .. وأطلق ساقيه للريح .. بغير هدى .. وذهبت به أفكاره كل مذهب .. يحدث نفسه ..

" يا للهول .. أترى أبي قد علم بما فعلت في هذا الكشك اللعين ؟! .. من المؤكد .. فإن الناس في الحي لا حديث لهم إلا عن هذه الشقية البائسة .. لقد حملت .. نعم .. فقد كان ذلك منذ ثلاثة أشهر تقريباً ..

والجميع يتهامسون .. ولكن .. لم يرني أحد في ذلك اليوم اللعين ..

فهل يعرف أبي أنني الفاعل ؟! .. غير معقول .. ولكنني رأيت الناس يتهامسون ويتغامزون .. فهل رآني أحدهم خارجاً من الكشك يوم أن فعلت فعلتي ؟! .. ربما .. ولكن أيضاً .. ربما لا ..

يا إلهي .. لم يكن ينقصني إلا أن تحمل هذه البائسة اللعينة .. فتكشف أمري .. "

أما هذه البائسة اللعينة .. فلم تكن إلا هذه الفتاة المسكينة .. الخرساء .. التي لم تجاوز العشرين من عمرها .. الذي قضته كله تجوب الشوارع .. لا تفعل شيئاً إلا أن تمشي في الشوارع والطرقات بلا هدف .. لا بيت لها .. لا عائل لها .. ولا أقرباء ..

فإذا شعرت بالجوع .. دخلت أي محل مواد غذائية .. فتأخذ رغيف خبز .. وقد تتناول معه زجاجة ماء .. وتخرج .. دون أن تدفع شيئاً .. فالكل يعلم أنه لا شيء لديها .. ولا نقود ..

فتجلس إلى ظل حائط .. مفترشة الأرض .. فتأكل وتشرب ..

ولا شيء بحياتها غير ذلك ..

ولم يكن أصحاب المحلات يمانعون أن تفعل ذلك ..

كانت صفاء .. هكذا أطلق عليها أهل الحي هذا الإسم .. ربما لأنه لا شيء لديها إلا الصفاء .. ولا بعقلها إلا الصفاء .. ولا يعرف أحد عنها إلا الصفاء !..

كانت صفاء فتاة متوسطة القوام .. نحيلة الجسم .. هزيلة .. ضعيفة البنية .. ولقد بدا التناقض الشديد في ملامح وجهها بوضوح .. ففي حين كانت هناك مسحة من الجمال تزين وجهها .. كان هناك ما يشير إلى العُته و البلاهة ..

فكانت عيناها الواسعتان جميلتان عسليتان .. إلا أن نظرتها جامدة .. لا تثير في الناس إلا الشجن .. والألم .. والعطف عليها ..

وإن الفؤاد ليتألم أشد الألم .. لهذا الشعر البني الكثيف الناعم .. الذي تراكمت الأتربة عليه .. فجعلته مجعداً .. مغبّراً بالتراب .. وأوراق الشجر .. الذي تساقط من الأشجار .. واختلط بتراب الأرض .. فعلق بشعرها .. عندما تفترش الأرض .. وتنام ملتحفة السماء! .. وكأن مشطاً لم تمتد لتصففه نهائياً .. ولو لمرة واحدة .. طوال حياة هذه الفتاة البائسة ..

ولم تكن ملابسها بأفضل حال .. فكانت متربة موحلة .. بدا جسد الفتاة

من خلفها في حالة مزرية ..

وكان بعض أهل الحي من محبي عمل الخير .. يشفقون عليها .. فلم يكن يرضيهم أن يشاهدوا فتاة في مثل هذا العمر وقد انكشف بعض جسدها من خلف الثقوب التي تملأ ثوبها .. في بعض مواضعه .. التي تمزقت مع مرور الأيام والسنين .. فكانوا يستبدلون لها هذه الثياب بين الحين و الآخر ..

ولم تكن صفاء لتؤذي أحداً .. أو تسرق شيئاً ..

ولم يعرف أحد لصفاء أباً .. أو أماً .. أو أقارب ..

وهكذا كان الشارع هو ملاذها .. وبيتها ..

إلا أنها كانت في بعض الليالي والأيام المطيرة تلجأ لحماية جسدها النحيل من المطر تحت سقف هذا الكشك .. الذي أقامه أحدهم في أول الشارع .. غربي الحي .. ولأسباب غير معروفة توقف عن البنيان .. ولم يتمه ..

فكان يتكون من أربعة جدران .. وسقف .. ولا شيء غير ذلك .. فلا باب .. ولا أرضية .. ولا أرفف ..

ومنذ نحو ثلاثة أشهر .. وكان الليل قد أرخى ستائره السوداء على

المكان .. واشتد الجو برودة .. وبدأت الأمطار تتساقط وتهطل ..

فأسرعت المسكينة إلى الكشك تحتمي به من المطر ..

وكان أن رآها سمير تعتصم بالكشك .. ليأويها .. فثارت غريزته ..

واشتعلت شهوته ..وحدثته نفسه المريضة بأن هذا الصيد يطفيء

ظمأه .. في هذه الليلة الباردة ! ..

ولا يدري أحد .. كيف أن هذه المخلوقة البائسة .. حافية القدمين ..

وهذا الشعر الذي تجعد من الأتربة وأوراق الأشجار .. في هذا المشهد

المروع .. يمكنها أن تثير غريزة إنسان ! ..

إلا أن سمير لم يرحم ضعف الفتاة .. وخرسها .. وبلاهتها .. ولم تثر

فيه الشفقة ..

فاغتال أنوثتها .. وكأنه ذئب بشري .. وانصرف ..

بلا ضمير يرده عن فعلته .. ويردع همجيته ..

وكأن شيئاً لم يكن ..

ولم يكن من الغريب أنه اليوم .. وبعد مرور هذه الأشهر الثلاثة .. لا

يشعر أبداً بتأنيب الضمير .. حتى بعد أن رأى ثمرة فعلته الحقيرة

تتحرك في أحشاء هذه الشقية ..

كل ما يهمه هو .. هل أباه قد اجتمع بالأسرة من أجل ذلك ..

أم أنه أمر آخر ..

ووقف ثواني ينظم أفكاره ..

ثم أخذ يصلح من هندامه .. ورفع رأسه عالياً .. ثم قال لنفسه :

" وليكن .. فليعلم من يعلم .. وليكن ما يكون ! .."

أما الأب فلما لم يجد إبنه سمير قد جاء لحضور الإجتماع الذي دعا إليه .. فقد قال لهم أنه على سمير أن يعلم بأمر الموضوع من أحدهم .. وأن عليهم مناقشة ما يعتزم عرضه عليهم من الأمور..

كان الأب يمتلك مكتبة كبيرة .. يعاونه في إدارتها أبناؤه مجدي ومنير .. أما سمير فلم يكن يحب العمل بالمكتبة .. ولا بغيرها ! ..

وحدث أن تم إفتتاح عدد من محلات تجارة المجوهرات والذهب .. بجوار المكتبة .. وهي تجارة رائجة .. فاقترح عليه بعض أصدقاؤه أن يقتحم تجارة الذهب .. بدلا من المكتبة .. وأما عن الخبرات الضرورية فسوف يقدمون له يد العون .. ويوفرون له ولأولاده التدريب الكافي حتى يتقنها ..

وحتى عندما تعلل لهم بنقص المال اللازم .. حيث تطلب تجارة الذهب

الأموال الطائلة .. فاتفقوا معه على استثمار أموالهم معه في تجارة الذهب .. مقابل عائد حلال للجميع .. وأكدوا له أنهم ما كانوا يقترحون عليه هذه الإقتراحات .. لولا ثقتهم فيه .. وفي ذمته .. وأنه لا يقبل إلا الحلال ..

وبفرحة عارمة .. وسعادة بالغة .. وافق الجميع على هذا المشروع .. الذي وجدوا فيه فرصة جيدة .. إنما أرسلها لهم المولى عز وجل .. لرفعة شأنهم .. وسعة رزقهم ..

وفي غضون خمسة أعوام فقط كان رأس المال قد تضاعف .. وراجت التجارة ..

وأصبح لأسرة عم صادق شأن عظيم ..

كما كان الأولاد الثلاثة قد تزوجوا ..

ورزق مجدي بولدين .. وإبنتين ..

بينما رزق منير بثلاثة بنات ..

أما سمير فقد رزق بأربعة توائم .. أول توأمين ولدين .. وثاني توأمين بنتين ..

وكان لكلا البنتين رأس صلعاء لا ينمو فيها الشعر .. والجبهة عريضة

تلتهم جانباً كبيراً من الوجه .. والعينان جاحظتان ..

وفي أحد أيام الجمعه .. ذهب عم صادق إلى صلاة الفجر كعادته .. إلا أنه وافته المنية وهو قائم يصلي في المسجد ..

وكان لوفاة عم صادق وقع مؤلم على كل أفراد أسرته .. وحزنوا له حزناً شديداً .. و أيضاً كل أهل الحي ..

وإن هي إلا أيام قليلة .. بعد وفاة الأب .. حتى بدأ سمير يطالب أمه وأخوته بنصيبه في الميراث ..

وبعد تقييم أموال الأسرة كان نصيب مجدي قطعة أرض .. عبارة عن مائة متر .. وبعض الأموال السائلة .. وأما منير فكان له نصيب موازٌ من الأموال السائلة .. واختار سمير قطعة أرض بجوار أرض مجدي .. وبعض الأموال السائلة ..

وأما المشغولات الذهبية التي تم حصرها بالمحل فكانت تقترب من العشرين كيلو جرام من المشغولات الذهبية ..

وطالب سمير بحصة من هذه المشغولات .. تصل إلى ستة كيلو جرامات .. فقالت له والدته أن هذه المشغولات إنما هي ملك لبعض المستثمرين .. وهم يتقاضون عنها عوائد سنوية ..

إلا أن سمير أخذ يستعطف أمه وأخويه لتلبية طلبه بحجة أنه هو أيضاً سوف يمنح المستثمرين نفس نسبة المقابل الذي كانوا قد اتفقوا عليها مع والده .. وأنهم عليهم جميعاً مساعدته من أجل أولاده .. وخاصة البنات .. لأنه يعتزم الإستقلال بتجارته .. في محل منفصل ..

وبعد الكثير من الإستعطاف والإلحاح .. وافقت الأم .. فوافق الأخوان وحصل سمير على ما طلب ..

وانقضى العام .. ولم يمنح سمير أحداً مقابل أموالهم .. التي طلب أن يقوم هو باستثمارها لهم .. كما وعد الأسرة ..

وأصر إصراراً عنيداً أنه لن يعطي لأحد جنيهاً واحداً ..وهو ما اضطر أخواه أن يدفعا من أموالهما الخاصة النسبة من الأرباح التي كان على سمير أن يدفعها ..

وزاد على ذلك .. أنه اعتبر هذه الكمية من المشغولات الذهبية ملكاً خالصاً له .. على أساس أنها كانت جزءاً من الميراث ! ..

عاش سمير لنفسه .. يفعل ما يحلو له .. دون رقابة لضمير .. أو وازع من دين .. دون ندم على ارتكاب أية أخطاء .. أو خطايا ..

شيء واحد فقط كان ينغص عليه حياته .. هو رؤيته لإبنتيه ..

المعوقتين ..

و قد كانت كل منهما جليسة دائمة على أحد الكراسي بجوار الحمام ..

تطل عليه بصلعتها .. وعينيها الجاحظتين ..

هذا هو الشيء الوحيد .. الذي كان يعذبه ليل نهار .. ويمزق قلبه !

يقولون أن إحدي أقرباء زوجته كان لها إبنه لها نفس العيب الخلقي ..

أما زوجته فقد توفيت بعد ثلاث سنوات .. ربما بسبب حسرتها على

بناتها.. وحزنها الذي أبكاها ليل نهار ..

ولم يكن شيء قد تغير .. من طباع سمير مع مرور الوقت ..

وذات صباح .. دخلت السيدة " وفاء " .. إحدي العميلات لدى محل

سمير ..

فرحب بها بحرارة :

- أهلاً مدام وفاء .. كيف حالك ؟

- الحمد لله .. ولو أنني .. ومنذ وفاة المرحوم زوجي .. أعاني من كل

شيء .. والحياة تزداد صعوبة ..

- أكيد .. لقد كان زوجك المرحوم المستشار وجيه .. رجلاً محبوباً

من الجميع .. كان الله في عونك ..

- وكيف حالك أنت يا أستاذ سمير .. وكيف تسير تجارتك ؟

- كل شيء على ما يرام ..إلا أن التجارة عموماً تتراجع هذه الأيام .. تحت ضغط الظروف العامة للبلد .. التي تتدهور مع الأيام ..

- كلنا نعاني .. ونحيا على أمل أن تتحسن الأمور ..

- أترك لك الفرصة لمشاهدة المشغولات الذهبية الجديدة .. فقد يحوز شيئ منها رضاك .. وينال إعجابك ..

- يعجبني الكثير .. فهذا القرط جديد .. وهذه الأسورة .. رائعة .. وتعجبني كثيراً .. فهي على شكل ثعبان جميل لم أر مثله من قبل ..

- يوجد كوليه أيضاً نفس الشكل .. وهما يكونان طاقما رائعا فعلاً ..

- اليوم سوف أشتري السوار .. وبعد أن أدخر قيمة الكوليه سوف أشتريه .. لأن ما معي اليوم يكفي فقط لشراء السوار ..

- ربما يشتري الكوليه عميل ما قبل أن تأتي أنتِ لشرائه ..

- يعتمد الأمر على النصيب .. ولا مشكلة في ذلك ..

- لا .. لا .. لديّ حل آخر ..

- وما هو ؟

- خذي الكوليه .. وادفعي عندما تتوافر النقود لديكِ ! ..

- أشكرك يا أستاذ سمير .. ولكنني لا أفضل ذلك .. ولم أفعله من قبل .. وأنت تعلم ذلك ..

- إنني إصر على هذا !

وراح سمير يضع السوار والكوليه في علبة جميلة من علب الهدايا .. وتحت ضغطه وإصراره وافقت وفاء ..

ولكنه فاجأها قائلاً :

- ولكنني أرجو ألا يزعجك أن توقعي لي كمبيالة بالمبلغ ..

ولما ظهر على ملامح وفاء الإمتعاض من هذا الطلب .. سارع إلى طمأنتها .. قائلاً :

- أنا آسف طبعاً يا سيدة وفاء .. ولكن لا أحد يعرف الأعمار .. فهو فقط شيء روتيني .. وأنا أثق فيك تماماً .. فالأمر لا يتعلق بالثقة !

- أنا أثق فيك أيضاً يا أستاذ سمير .. ولا أمانع في التوقيع .. فسوف أحضر لك المبلغ قريباً .. وأسترد الكمبيالة ..

- إنني أثق في ذلك جداً ..

وقدم لها الكمبيالة لكي توقع عليها ..

ومع إحراجها .. وقعت .. ولم تلاحظ أنها وقعت على كمبيالة .. بدون

مبلغ محدد ..!

وتبادلت معه أرقام الهواتف .. لكي تخبره عندما يكون المبلغ قد توفر لديها ..

وقالت له برجاء :

- أرجوك يا أستاذ سمير أن تُبقي هذا الأمر سراً بيننا .. فأنت تعلم أن المرحوم زوجي كان يعمل مستشاراً .. وأهله لن يرضيهم أن أوقع على كمبيالات .. وسوف يغضبهم كثيراً أن أفعل ذلك ..

عندما قالت وفاء ذلك .. لم تكن تعلم أنها تضع يده على نقطة ضعف قاتلة .. وأنها تقدم له مجاناً .. سلاحاً .. يكسر به عظامها .. بغير رأفة .. ولا شفقة .. ولا ضمير !

- كيف تقولين ذلك يا سيدة وفاء؟ .. كيف أخبر أحداً بذلك ؟ ..

- أشكر كرمك يا أستاذ سمير ..

وانصرفت ..

وبابتسامة خبيثة .. وضع سمير الكمبيالة في الخزانة .. يُضمر لها أمراً ما !!

والتزمت السيدة وفاء بوعدها الذي قطعته على نفسها بسرعة السداد

.. فجاءت إلى المحل .. ودفعت لسمير الديون التي ترتبت عليها عند شراء الكوليه .. واستردت الكمبيالة التي كانت لديه .. وشكرها بحرارة .. بعد أن أشاد بصدقها .. وأمانتها ..وقدم لها العصير .. وكان قد إنقضى على سداد وفاء لإلتزاماتها المالية لسمير أسبوع واحد .. عندما تلقت منه مكالمة هاتفية أذهلتها ..

- آلو ..

- كيف حالك يا سيدة وفاء ..

- الحمد لله .. كيف حالك أنت يا سيد سمير ..

- أنا بخير .. وأنا في الحقيقة أتصل بكِ اليوم لكي أذكِّرك بالمبلغ المطلوب منكِ .. وهو قيمة الكوليه ..

وفي دهشة كبيرة واستنكار .. قالت :

- أي مبلغ ؟!..

- ألستِ مدينة لي؟

- ولكنني سددتُ لك قيمة الكوليه ! .. واستردتُ الكمبيالة .. وأنت بنفسك مزقتها أمامي ! ..

فضحك سمير ضحكة خبيثة .. أصابتها بالقشعريرة .. وقال :

- اسمعي يا سيدة وفاء .. ليس لديّ وقت لكي أضيعه في الحديث معك .. إن الكمبيالة التي أعطيتها لكِ .. والتي مزقتُها أمامكِ .. كانت كمبيالة مزورة .. أنا زورتها .. وقمت بتزوير توقيعك .. أما الكمبيالة الأصلية .. التي تحمل توقيعك .. فهي لديَّ .. وفي واقع الأمر .. أنه لم يكن من الذكاء أن توقعي لأحد .. أياً كان .. كمبيالة .. أو أي مستند أخر .. خاصة وأن لكِ من الظروف ما يمنعك من ذلك .. أم تريدين أن اقدم هذه الكمبيالة للمحكمة .. فتكون مشاكل لا قِبَلَ لكِ بها ؟!

- وأين ضميرك ؟! .. وأين الثقة التي وضعتها فيك ؟! ..

- لا تدخلي هذا المدخل .. فلا طائل من الأحاديث عن الذمة .. والضمير .. كما لا يوجد شيء اسمه الثقة ! ..

- لماذا يا أستاذ سمير ؟! .. لماذا تفعل هذا مع أرملة .. فقدت زوجها .. فلم يعد لديها عوناً ولا سنداً ..

- لا ..لا .. أرجوك لا تتحدثي عن العواطف أيضاً ..

- حسبي الله ونعم الوكيل .. سوف أعطيك المال .. وأفوض أمري إلى الله .. ولكن كيف أعرف أن الكمبيالة التي سوف تعطيني إياها هي الأصلية .. والتي تحمل توقيعي الصحيح .. وليس المزور ؟! .. وأيضاً

عليك أن تتأكد أن الله لن يبارك لك فيما تأخذ مني بغير وجه حق ..

- سوف يبارك .. لا تقلقي بشأني ..!

- أيها النصاب المحتال .. لن تكون خاتمتك سعيدة بإذن الله .. لا في الدنيا .. ولا في الآخرة ..

ومن الغريب أن سمير ذهب سعيداً إلى أخيه مجدي .. وقص عليه القصة .. فرِحاً بقدرته على النصب والإحتيال .. يختال بذكائه .. فنهره مجدي .. وروى ما حدث للأم .. التي استنكرت أن يحتال أحد أبناؤها على أحد .. فاستعلمت عن عنوان السيدة وفاء وذهبت إليها .. وردت لها ما أخذه إبنها منها بغير حق .. وطلبت منها ألا تكرر هذا الخطأ مرة أخرى .. ولا توقع لأحد أية أوراق شيكات أو كمبيالات .. بعد هذا الدرس القاسي ..

ولم تكن محاولات وأحداث النصب والإحتيال التي يقوم بها سمير تنتهي ..

فلم تكن إلا بضعة أيام أخرى .. حتى علمت الأسرة أن إبنهم سمير قد تزوج .. من إحدى عميلاته ..

إنها السيدة منار .. وهي تعمل مدرسة لغة إنجليزية في إحدى المدارس

الثانوية للبنات ..

كانت منار على خلافات متواصلة ودائمة مع زوجها ..

في البداية كانت منار تشير في أحاديثها العابرة مع سمير .. إلى أن حياتها ليست على ما يرام ..

وكلما توجهت إلى محل سمير .. سواء بغرض الشراء .. أو البيع أو تبديل المشغولات الذهبية .. كان يسألها عن أحوالها .. وعن أمورها الشخصية .. فلم تكن تمانع من أن تشكو له خلافاتها مع زوجها .. وخاصة أنه لا يمكنه الإنجاب ..

وكان سمير يحاول أن يوطد علاقته بها .. بكثرة الأسئلة .. والتدخل على سبيل النصح .. والإصلاح بينها وبين زوجها ..

ومع مرور الزمن .. تحولت محاولات النصح والإصلاح .. إلى تحريضها على طلب الطلاق ..!

فهذا الزوج لا يستحقها ..

ولا هي تستحق أن تُعامَل بهذه القسوة !

و حتى بعد أن قالت له أنها لا تعرف ماذا تفعل بحياتها إذا طلقها زوجها فعلاً .. فإذا كانت تستطيع أن تتحمل قسوة زوجها .. فلن

تستطيع أن تكون إمرأة مطلقة .. .. تلوكها الألسن .. وتختلق كل القصص المشينة عن أخلاقها وسلوكياتها .. فهي إمرأة مطلقة .. وهذا رغم أنها تستطيع أن تعيش في رغد من العيش بأموالها الخاصة .. فهي تمتلك أكثر من مائتي ألف جنيه .. ملكاً خاصاً بها ..

فسارع يطمئنها قائلاً :

- ومن قال لكِ أنكِ ستظلين في نظر الناس المرأة المطلقة ؟!

- ماذا تعني ؟!

- سوف أتزوجك .. فهل تقبلين ؟

وشجعها هذا الوعد منه بالزواج أن تذهب في خلافاتها مع زوجها إلى النهاية .. وطلبت الطلاق ..

وجاءته سعيدة .. تزف إليه في فرح .. نبأ طلاقها ..

وطلبت منه أن يفي بوعده .. وأن يحدد لها موعد الزواج ..

وكانت سعادتها لا تُقدّر .. فقد رحب بالفكرة وأبدى أنه أكثر منها سعادة بهذا الخبر .. وأنه يطير فرحاً للزواج بها ..

وأغرقها سمير في أحاديث الحب .. والهيام .. وكانت في شوق لهذا النوع من الغزل .. الذي كانت محرومة منه مع زوجها السابق ..

فلم تكن تسمع منه هذا الكلام في الحب والأشواق ..

وصدّقت كل كلمة من كلماته .. لأنها كانت تريد أن تصدقه .. وترغب في أن تسمع المزيد .. الذي أوقظ لديها مشاعر كانت دفينة .. حرمها من إيقاظها الزوج الأول .. الذي كان بخيلاً حتى في كلام الغزل ..

وكأنما كانت منار في حاجة إلى من يعيدها إلى الأيام الخوالي .. أيام فترة المراهقة .. حيث كان قلبها يذوب مع كلمات الحب .. ويتيه قلبها عشقاً لكلمات الغزل ..

ووجدت نفسها في أيام قليلة ترتبط ارتباطاً عاطفياً شديداً مع سمير .. الذي عرف ما كانت تحتاجه .. فمنحها إياه ..

وعلّمها كيف تعوم .. في بحر حبه ..

فلم تعد تطيق فراقه .. ولم تعد تستطيع الحياة بعيداً عنه ..

ولم يكن سمير يرغب في أكثر من ذلك .. لتنفيذ خطته التي وضعها من قبل أن يتزوجها ..

بل من قبل أن يدفعها للطلاق من زوجها الأول !

فالمبلغ الذي لديها ليس بالقليل .. بل أنه كبير لدرجة كافية .. لأن يخطط له سمير بإتقان .. وحرفية في النصب .. والخيانة ..

أغلق سمير المحل مبكراً .. وعاد إلى البيت ..

فتح الباب ..

فكانت .. كعادتها .. تنتظره في شوق .. وبالأحضان الدافئة ..

والقبلات الحارة ..

- لقد عدتَ اليوم مبكراً .. لعله خيراً !

- نعم يا حبيبتي .. لديّ خبر لك .. سوف تجدينه هاماً .. ومُبهجاً !

- كل أخبارك هامة بالنسبة لي يا حبيبي .. وكل أحوالك تهمني ..

- أقصد أن هذا الخبر يهمكِ بصفة شخصية ..

- خير يا سمير .. فما هو هذا الخبر ؟!

- لقد علمتُ اليوم .. من أحد سماسرة العقارات .. أن أحدهم لديه قطعة أرض .. يرغب في بيعها .. مضطراً .. وهي في الواقع قيمتها نحو ربع مليون جنيه .. ولما لم يجد المشتري .. فقد قام بخفض قيمتها إلى مائتي ألف جنيه .. إلا أن السمسار استطاع أن يشكك في إمكانية البيع بهذا السعر .. خاصة في هذه الأيام .. وحالة الجميع صعبة .. والسيولة قليلة .. وأقنعه أنه إذا وافق على البيع بمائة وسبعين ألف جنيه .. فسوف يجد له المشتري !

- ولماذا ترى أن هذا الخبر يهمني ؟

- ألا يعنيكِ .. يا حبيبة قلبي .. أن تمتلكي قطعة أرض قيمتها ربع مليون جنيه .. وتدفعي فقط مائة وسبعين ألف جنيه ؟

- يا حبيبي سمير .. بل أقصد أنني لم أفكر أصلاً في شراء أرض !

- ولا حتى إذا كانت صفقة رابحة ؟ .. لقد اعتقدتُ أن زوجتي الحبيبة سوف تطير فرحاً بهذه الصفقة !

- كنتُ سوف أطير فرحاً إذا اشتراها زوجي الحبيب .. لأنك تعلم يا حبيبي أنني لم أفكر في التجارة من قبل ..

- ولكنكِ يا حبيبتي تعلمين أن أموالي كلها في عقارات .. وليست أموالاً سائلة ..

- وهل البائع في عجلة من أمره؟

- بل نحن يجب أن نكون في عجلة من أمرنا .. لأن هذا السعر الذي أقنعنا البائع بالقبول به .. جعل الأمر أسهل للجميع أن يقبل به .. فهو سعر جيد للشراء ..

- ومتى تود أن تتم هذه الصفقة ؟

- لقد أغلقتُ المحل اليوم مبكراً لكي نناقش الأمر .. ثم نتخذ القرار

بالتنفيذ .. قبل فوات الأوان !

- إذا كان الأمر كذلك .. فلن أخذلك يا حبيبي .. وسوف أسحب المال غداً من البنك .. ونتم الصفقة .. ما دمتَ على ثقة من أن قيمتها تمثل صفقة لا تُعوّض .. كما تقول !

- ألف مبروك يا زوجتي الحبيبة .. وسوف تعلمين كيف كان زوجك حبيبك يبحث عن فرصة لك تحقق لك الخير .. كل الخير ! بل فرصة العمر !

وفي اليوم التالي .. استلم سمير المائة وسبعين ألف جنيه .. واستلمت منار عقد ملكية مزور ..

بعد أن عاينت أرضاً وهمية .. لا تخص صاحب التوقيع على العقد ! والذي تبخر في الهواء .. بعد إنهاء الصفقة الوهمية .. وحصل على عمولته .. نتيجة مشاركته في هذه العملية الشريرة .. من النصب والإحتيال ..

بينما باتت منار سعيدة .. لا تسع الدنيا فرحتها .. فقد أصبحت من أصحاب الأملاك و العقارات !!

فهي لا تدري بما يحيكه لها زوجها من شباك النصب والإحتيال !

وكان سمير في محله .. عندما دخلت أمه المحل .. فقد تاقت لرؤيته .. بعد أن غاب عنها فترة طويلة دون السؤال عنها ..

بادرته الأم :

- هل عليّ أن أزورك في المحل .. عندما أشتاق لرؤيتك ؟!

- لا أفكر هكذا يا أمي .. ولكنها المشاغل والمشاكل .. وأرجو أن تعذريني .. وتسامحيني ..

- وماذا تفعل الأم يا بنيّ .. غير أن تسامح .. وتلتمس الأعذار لأبنائها ..؟!

- كيف حالك يا أمي .. وكيف حال أخي مجدي ومنير ..؟

- إنهما بخير .. ولكن مجدي يمر بظروف صعبة .. اضطرته إلى أن يفكر في بيع قطعة الأرض التي يملكها ..

- التي بجوار قطعة الأرض التي أملكها ؟

- نعم .. وهل لديه غيرها ؟

- وكم وصلت قيمتها ؟ .. بكم سوف يبيعها ؟

- أذكر أنه قال في حدود خمسمائة ألف جنيه ..

- إذن فأنا أولى بها ..

- هل تشتريها أنت ؟

- بلى .. ولمَ لا ؟!

- لم أقل شيئاً في ذلك يا بنيّ .. وهل أعترضتُ أنا ؟

- إذن أرجوك يا أمي .. أبلغيه أنني أقبل أن أدفع فيها المبلغ المطلوب ..

- سوف أبلغه يا ولدي .. ولن يعترض .. وأنت أولى بها ..

- ولكنني سوف أدفع خمسين ألف جنيه كمقدم سداد .. على أن يحرر لي عقد بيع .. وبعد تسجيله في الشهر العقاري .. سوف أدفع له المبلغ المتبقي ..

- عليك أن تتفق على ذلك مع أخيك مباشرة ..

- سوف أفعل يا أمي .. ولكن عليك التدخل إذا اعترض .. أو رفض ..

- لا تسبق الأحداث يا سمير .. ثم إنك تعرف أخاك مجدي جيداً .. إنه أخ جيد .. لا يمنع عن أخيه شيئاً ..

- على أي حال يا أمي .. يقولون أن خير البِرّ عاجله ..

- ماذا تعني ؟

- سوف أغلق المحل الآن .. وأذهب معك إلى البيت .. لمناقشة مجدي .. وإنهاء هذا الأمر ..

- إذا كانت هذه هي إرادتك .. فهيا بنا ..

وكان مجدي عند حسن ظن الأم به .. ولم يرفض طلب أخيه .. وحرر له العقد .. وحصل منه على المبلغ المقدم الخمسين ألف جنيه .. على أن يحصل على المبلغ المتبقي بعد التسجيل في الشهر العقاري .. إذا كان في هذا إرضاء للأم ..

وبعد مرور أسبوع .. جاء سمير إلى والدته .. يطلب طلباً رأته الأم غريباً ..

وقال لها مستعطفاً راجياً ..

- لقد ذهبتُ إلى الشهر العقاري لكي أسجل قطعة الأرض .. فطلبوا مني مبلغاً كبيراً جداً كرسوم للتسجيل .. وذلك لأن قيمة الأرض كبيرة .. ولكن إذا خفضنا قيمة الأرض .. فسوف تنخفض بالتالي رسوم التسجيل بالشهر العقاري ..

- وما هو المطلوب مني ؟

- أن تقنعي أخي مجدي لكي يحرر عقد بيع لي بمبلغ أقل .. خمسين

ألف جنيه .. ولن يضيره أن أقلل من قيمة رسوم التسجيل .. إذا كان هذا العقد المطلوب تحريره صورياً .. وليس فعلياً !

- ولكن هذا يعتبر تزويراً .. وتحايلاً !

- يا أمي يا حبيبتي .. لماذا تستعملين هذه الكلمات الضخمة الكبيرة .. مثل تزوير .. وتحايل .. فالأمر بسيط .. ولا يحتمل كل هذا ..

- سمير .. لا تسترسل في هذا .. ولن تجعلني أقبل مجاراتك في أعمال التزوير والتحايل .. فأنا لا أقبل ذلك ..

ولكن بعد إصرار غريب .. وإلحاح .. ورجاء .. استطاع سمير أن يجعل مجدي يحرر له عقد بيع جديد بمبلغ خمسين ألف جنيه فقط .. ويقر أنه استلم هذا المبلغ ..

وذهب سمير .. بالعقد الجديد ..

واختفى !

ومرت الأيام .. وقام سمير بتسجيل الأرض .. في الشهر العقاري .. وطلب منه أخوه أن يسدد له باقي المبلغ ..

قال سمير مندهشاً .. أو مدّعياً الدهشة :

- ولكنني دفعتها لك كاملة .. وكان ذلك في حضور أمنا ! .. هل نسيت

ذلك يا مجدي ؟!

- كم دفعت يا سمير ؟

- خمسين ألفاً .. كاملة !

- ولكن قيمة الأرض هي خمسمائة ألف جنيه يا أخي ! ..

- لا .. لا .. أنت تحلم .. فأنا لديّ عقد يقول أن قيمة الأرض هي خمسين ألف جنيه فقط .. وأنك استلمت هذا المبلغ كاملاً دون نقصان ..

– هل تخدع أخاك أيضاً يا سمير .. هل تقبل أن تفعل معي أنا أيضاً .. ما تفعله من نصب واحتيال مع الآخرين ؟!

- دعك يا مجدي من أحاديث الخديعة هذه .. فهذا لا يجدي نفعاً معي .. ولتكن واقعياً !..

- لن أدعك تفلت بهذه الفعلة يا سمير .. ولن أسمح لك بخديعتي .. ولكنني سوف أرتب الأمر مع أمي .. التي لن يرضيها أن نكون في قائمة ضحاياك ..

وهمت الأم أن تقول له :

" حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا سمير .. ولن يبارك الله عزّ و جلّ في أموالك .. ولا أولادك " ..

إلا أن قلبها لم يطاوعها ..

واستطاعت الأم أن تجمع أولادها مجدي ومنير على الخير .. وعدم السير في طريق الشر الذي رسمه سمير .. وقطع فيه شوطاً طويلاً .. وبالتعاون .. استطاع مجدي أن يمر من المحنة المادية التي جعلته يبيع قطعة الأرض ..

ومرت المحنة بسلام ..

ولم يكن سمير يجرؤ على أن يقوم بزيارة الأم .. ولم يستطع أن يواجه مجدي ولا منير .. فهو يعي جيداً حجم الجرم الذي فعله .. في حق الجميع ..

وانقضت السنوات ..

وتقدم العمر بالأم .. إلا أن صحتها كانت على ما يرام .. وقد أحاط بها مجدي ومنير وزوجتيهما وأبناؤهم .. الذين تخرجوا من الجامعات المختلفة .. وكانت أسرة سعيدة متماسكة ..

وكان الأحفاد يتسامرون مع الجدة .. عندما رن جرس الباب .. واتجه منير صوب الباب .. وما أن فتحه .. حتى نظر مشدوهاً .. لا يصدق ما يراه ..

قال في ذهول :

- من ؟ .. هل هذا معقول ؟!

ومن ثم استوعب الرجل الذي بالباب في حضنه .. باكياً ..

وأردف :

- أخي سمير ؟! .. أين كنت طوال هذه السنوات ؟

قال سمير .. والدموع تبلل وجهه :

- كيف أحوالكم يا أخي منير ؟ .. وكيف هي أمي ؟ .. وكيف أخي مجدي ؟

قال منير .. وهو يدفع أخيه برفق إلى الداخل .. ولا زال مندهشاً ..

- إدخل يا أخي .. هل نتحدث أمام الباب .. إدخل .. فالجميع هنا .. وكلنا بخير ..

وكان سمير قد تأثر كثيراً بفعل السنين ..

فالظهر قد انحنى وأمال الرأس إلى الأمام ..وكأن الجسم الذي نحل .. وهزل .. أصبح غير قادر على حملها ..

والشعر الأبيض غير المصفف يعلو رأسه .. كالطبق ..

ورسمت الأيام خريطة الشيخوخة على جبهته .. في خطوط طويلة ..

وتجاعيد ..

وقد ظهرت الجيوب الطويلة المنتفخة بلونها البني الداكن .. و التي تشكلت تحت عينين .. متورمتين .. ضيقتين .. قد قبعتا تحت حاجبين ضخمين .. من الشعر الأبيض ..

وتكونت تحت ذقنه مخدة من لحم سميك مستطيل كأنها .. كيس صغير ..

وأما فمه فعندما يفتحه .. فكانت تظهر فيه بقايا صغيرة .. من أسنان سوداء .. توشك أن تتفتت تماماً ..

وألجمت الدهشة الجميع ..

وشهقت الأم .. من هول المفاجأة ..

وصاحت :

- من ؟! .. غير معقول .. غير معقول .. إبني سمير؟!

وأحاطته بذراعيها .. تحتضنه بشوق الأم التي عاد إليها إبنها بعد طول غياب .. وهي تبكي .. غير مصدقه فعل السنين ..

وراحت تمطره بالأسئلة .. والقبلات الحانية :

- كيف حالك يا بنيّ ؟ .. كيف صرت إلى ما صرت إليه ؟!

- كيف حالك يا أمي .. كيف أحوالكم جميعاً .. لقد اشتقتُ إليكم ..

ولا زال باكياً .. بكاءً مريراً .. وارتمى على يد أمه .. يقبلها .. ويغسلها بدموعه ..

ولم يكن أحد قد رآه من قبل .. يبكي !

واحتضنه مجدي ..

ولا زال الجميع يبكون ..

يبكون شوقاً ..

ويبكون على ما صار إليه سمير ..

وبين البكاء والحزن .. قال سمير بصوت يتألم .. وكلمات متقطعة :

- لقد جئتكم طالباً الصفح والغفران .. كل الأموال التي حصلت عليها منكم بغير وجه حق .. أعيدها إليكم .. فقط سامحوني .. واغفروا لي .. أرجوك يا أمي .. سامحيني .. وارضي عني .. فأنت أمي .. ولن تعامليني بما أستحق .. فأنا أعرف أنني لا أستحق غفرانك .. ولا رضاك عني .. ولكنني إبنك .. أطلب الصفح ..

المشهد رهيب .. على الأم .. والأبناء .. والأحفاد ..

قالت الأم وهي تكفكف دمعها :

- لقد سامحتك يا ولدي منذ زمن .. أخبرنا عنك .. فلا نعرف عن أحوالك شيئاً ..

قال نادماً .. باكياً :

- يا أمي .. لقد ماتت إبنتاي .. بعد سنوات من العذاب .. لقد أذاقني الله في إعاقتهما كل أسباب الحزن والشقاء .. ثم جاء العقاب الأشد .. العقاب المؤلم ..

فتم طرد ولداي من الجامعة .. بعد الرسوب المتكرر ..

وبعد أن أدمنا المخدرات ..

وفشلا .. كل الفشل ..

لقد فشلا في كل شيء ..

وعاود يحاول أن يمسح الدموع التي انهالت من عينيه .. وقال مستطرداً :

- لقد ارتكبتُ كل أنواع الآثام .. وفعلتُ كل الشرور .. لم أترك شراً إلا فعلته ..

كنتُ أعتقد أنني سوف أنجو بكل أفعالي .. إلا أن الله كان لي بالمرصاد .. وأمهلني ..

وها أنا ذا .. أواجه كل الماضي .. وحيداً .. بائساً .. شقياً ..

حتى أولادي ..

إنهم يضربونني ! ..

يضربون أباهم ضرباً مبرحاً !!

كل يوم !!

وأخذ يشهق .. ويبكي في صوت مسموع ..

واستطرد .. يعتصره الألم .. والندم :

- كل يوم يضربونني .. حتى أعطيهم الأموال .. لشراء المخدرات ..

وإذا رفضتُ أن أعطيهم .. فالويل لي كل الويل ..

رحمتك يا رب !

وقد تندهشوا .. لقد ذهبتُ إلى الشرطة أطلب منهم حمايتي من أولادي

.. وأشي بهم .. أنهم يتعاطون المخدرات .. لدرجة الإدمان ..

قالت له الأم .. وهي تربت على كتفه :

- قم يا بنيّ .. فتوضّأ .. مخلصاً لله عَزّ و جَلّ .. وصلي له ركعتين ..

وتُبْ .. توبة نصوحة .. وادعهِ من قلبك .. بخشوع .. علّهُ يخفف عنك

.. ويصفح .. ويسامحك .. ولكن بعد أن ترد لكل ذي حق حقه ..

ولتعلم يا بنيّ أن الله واسع المغفرة .. رحمن .. رحيم .

تم بحمد الله

رقم الإيداع : 1662895

بتاريخ : 2017/04/04

صدر للكاتب

1 - الماضي يعود دائماً	رواية
2 - هل أغفر ؟	رواية
3 - الحب الحقيقي	كتـاب
4 - عصيـر الخـيـانة	رواية
5 – ويجا	مجموعة قصص قصيرة